الخلاصة
في تدبر سورة البقرة

تأليف

محمد بن علي بن جميل المطري

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ١﴾ ألف لام ميم، وسائر حروف الهجاء في أوائل بعض السور الله أعلم بمراده منها، وقيل: هي لتحدي الناس أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي هو مؤلَّف من هذه الحروف العربية. ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ القرآن العظيم لا شك في تنزيله من الله سبحانه، فهو كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا شك في صدق أخباره، وعدل أحكامه. ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ المتقي من يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فالمتقون هم المنتفعون بهدايات القرآن الكريم، وهي الدلالات المبينة لما تضمنه القرآن الكريم من علوم وإرشادات تبين الحق من الباطل، وتوصل لكل خير، وتمنع من كل شر، فالمتقون يهتدون لما تضمنه القرآن الكريم من علم نافع، وعمل صالح، منطوقًا ومفهومًا، مما هو ظاهر أو مما يُستنبط منه بعد التدبر والتأمل. ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ وصف الله المتقين بأنهم يُصدِّقون بكل ما غاب عن أعينهم مما أخبر الله به ورسوله من القيامة والحساب والجنة والنار وغير ذلك، ويدخل في الإيمان بالغيب: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهي أركان الإيمان الستة، والإيمان هو التصديق والإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه وحده العبادة دون ما سواه، والإيمان اعتقاد وقول وعمل. ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ومن صفات المتقين أنهم يقيمون الصلاة الفريضة والنافلة، وإقامة الصلاة أن يأتي بها المصلي بشروطها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، وأن يُكمِّلها ظاهرًا وباطنًا بإخلاص وخشوع. ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ ومن صفات المتقين أنهم يتصدقون ببعض ما رزقهم الله، وذلك يشمل الزكاة الواجبة والصدقات المستحبة. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ يشمل الإيمان بالقرآن الكريم والسنة النبوية التي هي بيان للقرآن، قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يبين للناس كتاب الله بسنته القولية والفعلية، وقد أمرنا الله في آيات كثيرة بطاعته وطاعة رسوله، فطاعة الله باتباع القرآن، وطاعة الرسول باتباع السنة. ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل. ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ اليقين: العلم الثابت الذي لا شك فيه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ المتصفون بهذه الصفات هم المهتدون باتباع شريعة الله، المفلحون أي: الفائزون بالخلود في الجنة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ستروا وجحدوا ما يجب الإيمان به، والكفر نوعان: كفر أصلي، وكفر ردة، ويكون الكفر والردة عن الإسلام بالاعتقاد أو الشك أو القول أو الفعل أو ترك الفعل، سواء كان ذلك اعتقادًا أو عنادًا مع التصديق أو استهزاءً ولعبًا، مثال الكفر الاعتقادي أن ينكر وجود الخالق أو يعتقد كذب القرآن أو يُكذِّب الرسول صلى الله عليه وسلم أو يُكذِّب بالبعث بعد الموت أو يعتقد صحة دين الكفار من اليهود والنصارى والبوذيين وغيرهم أو يُنكر وجوب الصلوات الخمس أو يكره شيئًا

من دين الله وإن عمل به، أو يعتقد عدم وجوب الحكم بما أنزل الله، ومثال الكفر بالشك أن يشك في وجود الخالق أو صحة القرآن أو صدق النبي صلى الله عليه وسلم أو يشك في البعث بعد الموت، ومثال الكفر القولي أن يشرك بالله بدعاء غيره أو يستهزئ بالله ورسوله وآياته أو يسب الله ورسوله أو يُحَلِّل شيئًا محرمًا بالنص والإجماع أو يُحَرِّم شيئًا حلالًا بالنص والإجماع، حتى لو كان إنكاره بقوله عنادًا أو استهزاءً مع تصديقه بالحق، ومثال الكفر الفعلي أن يُلقي المصحف الشريف في القاذورات أو يسجد لصنم أو يستعمل السحر باستخدام الشياطين، ومثال الكفر بالترك أن يمتنع عن الصلاة، حتى وإن كان مصدِّقًا بالله وباليوم الآخر، كما امتنع إبليس عن امتثال أمر الله بالسجود لآدم فكفر، مع كونه مصدقًا بالله وباليوم الآخر، أو يترك تحكيم الشريعة الإسلامية، ويعرض عن الحكم بما أنزل الله سبحانه. ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ يعني مستو عندهم أأعلمتهم بما تحذرهم منه أم لم تُعلمهم لا يؤمنون، والمراد أن أكثر الكافرين لا يؤمنون كما قال الله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس: ٧]، ومن الكافرين من يؤمن. ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: طبع الله على قلوبهم فلا يخرج منها الكفر، ولا يدخل إليها الإيمان، والقلب سمي قلبًا لتقلبه بالخواطر والتفكير، وهو محل العلم والعقل والنية. ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ أي: وطبع الله على سمعهم، فلا ينتفعون بما يسمعون، كما قال الله سبحانه: {وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ} [الصافات: ١٣]. ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌ﴾ أي: وجعل على أبصارهم غطاء، فهم لا ينتفعون بما يرون من آيات الله الكونية بسبب كفرهم، كما قال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: ١٠١]. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ العذاب إيصال الألم حالًا بعد حال. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ الناس والإنس هم البشر، والمراد ببعض الناس المنافقون، وهم الذين يُظهِرون الإسلام، ويبطنون الكفر. واليوم الآخر يوم القيامة، سُمِّي بذلك لأنه يأتي بعد انقضاء أيام الدنيا. ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾ أي: يُظهِرون غير ما في قلوبهم، ولا يعلمون أنهم في الحقيقة يخدعون أنفسهم. ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ في قلوبهم شك ونفاق وحب الشهوات المحرمة، فزادهم الله ضلالًا كما قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف: ٥]، وقال سبحانه: {قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} [مريم: ٧٥]. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾ عذابٌ مؤلمٌ موجع بسبب ما كانوا يَكذِبون، الكذِب هو الإخبار بما يخالف الواقع، وفي قراءة: {يُكذِّبون}: والتكذيب نسبة المخبِر إلى الكذب، فمن صفات المنافقين: قول الكذب، والتكذيب بالحق. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١﴾ إذا قال المؤمنون للمنافقين: لا تُفسِدوا في الأرض

بالكفر والمعاصي والظلم وموالاة الكافرين، قال المنافقون: إنما نحن مصلحون، والإصلاح تغيير الفساد إلى استقامة الحال في أمور الدين والدنيا. ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ من صفات المنافقين الإفساد في أمور الدين والدنيا، ولا يعلمون أنهم مفسدون، ويظنون ما يعملونه من فسادٍ إصلاحًا وإن كان فيه تغييرُ الإسلام وتشكيكُ الناس في الحق وسفك الدماء ونشر المنكرات. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ إذا قيل للمنافقين: صدِّقوا بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم كما آمن الصحابة ومن اتبعهم بإحسان، واتبعوا سبيلهم في فهم القرآن والسنة والعمل بطاعة الله وشرعه. ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ السفهاء جمع سفيه، وهو الجاهل، الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار، فالمنافقون يعتقدون هذا في الصحابة ومن اتبعهم من علماء الأمة وصالحيها، فالمنافقون يحتقرونهم، ولا يريدون أن يؤمنوا كإيمانهم، وهم في الحقيقة السفهاء، ولكنهم لا يعلمون الدين الحق الذي رضيه الله لعباده. ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ اللقاء الاجتماع. ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: إذا انفرد المنافقون مع زعمائهم المضلين، والشيطان كل عاتٍ متمردٍ من الجن والإنس، والمراد هنا شياطين الإنس. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ ساخرون، فمن صفات المنافقين الاستهزاء بالصالحين. ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ الاستهزاء: إظهار المستهزِئ للمستهزَأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرًا وهو يريد أن يسيء إليه باطنًا، وهو بمعنى الخداع والمكر والسخرية، فيُشرع أن يُعامَل المنافقون معاملة المسلمين في الظاهر، وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، فتجري عليهم أحكام النكاح والمواريث ونحو ذلك مثل غيرهم من المسلمين، ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ أي: يزيدهم الله في كفرهم وضلالهم، ﴿يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ العَمَة: الحيرة والتردد، فالمنافقون في حيرتهم يترددون، لا يجدون إلى الهداية سبيلًا؛ لأن الله تعالى قد طبع على قلوبهم، بسبب سوء نياتهم، وفسقهم وظلمهم، قال الله تعالى: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ اشتروا: استبدلوا، والباء تدخل في الشراء على المتروك، فالمنافقون تركوا الهدى رغبة في الضلالة، كما يرغب المشتري في السلعة، فيترك ثمنها للبائع ليأخذها. ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ الربح الزيادة على رأس المال، فتجارة المنافقين خاسرة؛ لأنهم اشتروا الدنيا الفانية بالآخرة الباقية. ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: شَبَه المنافقين كإنسان أوقد نارًا في مكان مظلم، فهذا وصْفُ المنافقين الذين آمنوا ثم كفروا، واشتروا الضلالة بعد الهدى، فلما أبصر المنافق ما حوله بنور الإسلام ارتد فصار في مكان مظلم بعد أن كان مبصرًا. ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ترك بمعنى خلَّى، والظلمات جمع ظلمة وهي عدم النور، فهؤلاء المنافقون خذلهم الله حين استحبوا الضلالة وقدَّموها على الهدى. ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ صُمٌّ

جمع أصم، والصمم آفة في الأذن تمنع من السمع، بُكْمٌ جمع أبكم، وهو الذي يولد أخرس لا يتكلم، عُمْيٌ جمع أعمى، والعمى آفة في العين مانعة من إدراك المبصَر، ويطلق العمى أيضًا على عمى القلب، والمعنى: المنافقون صُمٌّ عن استماع الحق، بُكْمٌ عن التكلم به، عُمْيٌ عن إبصاره، فلا تنفعهم المواعظ والعِبَر، ولا يتفكرون فيما يسمعون ويقرءون من آيات القرآن والسُّنَّة، ولا فيما يرون من آيات الله الكونية، كما قال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف: ١٧٩]، وقال سبحانه: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} [يوسف: ١٠٥]، وقال عز وجل: {وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ} [الصافات: ١٣، ١٤]. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ إلى الحق؛ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فغالب المنافقين الذين كفروا بعد إيمانهم وتركوا الحق عن علم لا عن جهل لا يرجعون إلى الإيمان والعمل الصالح. ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ أي: مطر، مشتق من صاب يصوب إذا نزل من السماء، والسماء في اللغة: كل ما علاك فأظلك، والمراد بالسماء هنا السحاب، هذا مثَلٌ آخر للمنافقين، يعني: كأصحاب مطرٍ شديد في سفر، في ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر، والرعد صوتٌ شديدٌ يُسمع في السحاب عند نزول المطر، والبرق نورٌ يُرى في السحاب ولا يثبت. ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: يضعون أصابعهم في آذانهم بسبب الصواعق، والصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد، وقد تقتل أو تحرق ما أتت عليه. ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ الحذر الخوف، والموت زوال الحياة، وهو مفارقة الروح الجسد، والجسد بعد الموت يفنى، والروح تبقى، ويوم القيامة يُعيد الله الأجساد بقدرته، وترجع الأرواح إليها، وهذا المثل يبين الله به حال المنافقين عند سماع القرآن والمواعظ، فهم يكرهون سماع الحق كما يكرهون الموت، ويجعلون الاستقامة على شرع الله كالموت، فهم لا يريدون طاعة الله كما لا يريدون الموت، قيل: وجه التشبيه أن المطر مثَلٌ للقرآن الذي تحيا به القلوب، والظلمات مثَلٌ لما في القرآن من الإشكال على المنافقين، فبعض الآيات القرآنية لا يفهمونها، وتكون سببًا لكفرهم وشكهم، كما قال تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت: ٤٤]، وقال سبحانه: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء: ٨٢]، والرعد مثَلٌ لما فيه من الوعيد والزجر لهم، والبرق مثَلٌ لما فيه من البراهين الواضحة، ضرب الله في هذه الآية مَثَل المنافقين الذين نفاقهم عن جهل لا عن علم بأصحاب المطر الشديد، وإذا أضاء لهم البرق مشوا في ضوئه، وإذا أظلم وقفوا، كما أن المنافقين إذا كان القرآن موافقًا لأهوائهم عملوا به، كأحكام النكاح والمواريث وآيات حسن

الأخلاق، وإذا كان غير موافق لأهوائهم وقفوا وتأخروا، ولم يعملوا به كالمحافظة على الصلوات في أوقاتها والجهاد في سبيل الله وترك المنكرات كالربا والتبرج والزنا وموالاة الكافرين. ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾ الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع جهاته، ومنه الحائط لإحاطته بما يدور عليه، ويستعمل في القدرة والعلم والإهلاك، ومن أسماء الله: المحيط بمعنى أنه محيط بكل شيء علمًا وقدرة وقهرًا، فإحاطة الله بخلقه إحاطة علم وقدرة وقهر، والله مهلك الكافرين وإن أمهلهم. ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ يكاد: يقرب ولم يفعل، والخطف أخذ الشيء بسرعة، والمراد: يقارب البرق أن يَذهب بأبصارهم بسبب شدة لمعانه، والمراد بهذا المثل: أن نور القرآن – وهو براهينه – يكاد لشدة ضوئه يُعمي بصائر المنافقين، كما أن البرق الشديد النور يكاد يُعمي بصر ناظره. ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾ أظلم أي: صار الموضع مظلمًا، قاموا: وقفوا وثبتوا مكانهم، فكلما ظهر للمنافقين شيء يعجبهم من الإسلام استأنسوا به واتبعوه، وإذا عرضت لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين، قيل: المثل الأول للمنافقين الدعاة إلى النفاق الذين هم في جهل مركب، والمثل الثاني للمنافقين ذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلدين، والله أعلم. ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ القدير من أسماء الله الحسنى، يتضمن صفة القدرة، فالله كامل القدرة، لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [البروج: ١٦]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يا أيها يا حرف نداء، ينادى بها القريب والبعيد، أي وصلة لنداء ما فيه أل، ها حرف تنبيه. ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ الخلق الاختراع والإيجاد والإنشاء. ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي: وخلق الذين من قبلكم. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ لعل حرف توقع، يكون للترجي في المحبوب، وللإشفاق في المكروه، ولا يستعمل إلا في الممكن. ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ الفِراش: المهاد، أي: ذللها لكم وبسطها ولم يجعلها غليظة ولا ممتلئة بالصخور فلا تتمكنون من الاستقرار عليها ولا الانتفاع بها. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ أي: سقفًا مرفوعًا، فالسماء بناء محكم شديد، وليست فضاء، والفضاء بين الأرض والسماء، وللسماء أبواب تُفتَّح وتُغلق، ويوم القيامة تتشقق وتنفطر، وهي سبع سماوات طباقًا، والنجوم زينة السماء الدنيا، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك: ٥]. ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ المراد بالسماء هنا السحاب، والباء للسببية، فماء المطر يخرج بسببه ثمرات الأشجار بقدرة الله. ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ أندادًا: أمثالًا ونظراء تجعلونهم شركاء لله في العبادة، وأنتم تعلمون أن الذي خلقكم وخلق السماء والأرض وما فيهما هو الله وحده، فكما لا شريك له في الخلق لا شريك له في العبادة. ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ أي: إن كنتم في شكٍّ من القرآن الذي نزَّله الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ الإتيان المجيء، والسورة

قطعة من القرآن تامة كاملة، من مِثْله أي: مِثْل القرآن، والمماثلة تقع بأدنى مشابهة، فتحدى الله الناس أن يُنشئوا بكلامهم سورة مثل سورة من القرآن في كمال البلاغة والفصاحة والإعجاز. ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ وادعوا آلهتكم وأعوانكم ليعينوكم على المجيء بمثل سورة من القرآن إن كنتم صادقين أنه ليس كلام الله، وأنه كلام البشر. ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أي: فاحذروا نار جهنم التي وَقودها الناسُ من الكفار والمنافقين والمجرمين، والحجارةُ التي عُبدت من دون الله، وقيل: حجارة الكبريت، الوَقود اسم لما يوقد به من الحطب وغيره، والوُقود: الاشتعال. ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أي: هُيِّئت جهنم للكافرين، فهي الآن مخلوقة، ويوم القيامة تُسَعَّر، ويجاء بها فيراها كل الناس. ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: أخبر المؤمنين خبرًا يظهر أثره على البشرة، وهي ظاهر الجلد، والبشارة أول خبر يرد على الإنسان من خير أو شر، وأكثر استعماله في الخير. والعمل إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، والعمل الصالح هو الخالص من الرياء، المقيَّد بالسُّنَّة النبوية، فلا يكون العمل صالحًا إلا بهذين الشرطين: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، فإن كان العمل خالصًا لله ولم يكن موافقًا للسُّنة فهو بدعة، وإن كان العمل مقيدًا بالسُّنة ولم يكن خالصًا لله فهو رياء لا يقبله الله. ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ جنات جمع جَنة، وهي في اللغة: البستان المستور بالأشجار، وكل شيء ستر شيئًا فقد أجنَّه، ومن ذلك: الجَنَّة والجِن والجنين والمجنون لأن عقله مستور. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: مِن تحت أشجارها وقصورها، والأنهار جمع نهر، وجنة الآخرة فيها أنهار جارية من ماء ولبن وخمر وعسل. ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: كلما أُطعِموا فاكهة من تلك الجنات قالوا: هذا الذي رزقنا الله من قبل في الجنة. ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ يَشبَهُ بعضُه بعضًا في الصورة ويختلف في الطعم واللذة، فنعيم الجنة لا يُمَلّ. ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والغائط والبول والمخاط والقاذورات والروائح الكريهة والأخلاق السيئة. ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ باقون في الجنة إلى الأبد، آمنون من انقطاع النعيم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الاستحياء والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعاب به، ومحله الوجه ومنبعه من القلب، والحياء يمنع من قول أو فعل ما يُعاب، وصفة الحياء ثابتة لله سبحانه على ما يليق بجلاله وكماله، وليس كحياء المخلوقين، {وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب: ٥٣]، لا يستحيي أن يذكر شيئًا من الحق صغيرًا أو كبيرًا، وعدَّ بعض العلماء من أسماء الله الحسنى: الحيي، وروي هذا الاسم في حديث مختلف في صحته. ومعنى يضرب أي: يذكر، ومثلًا أي: شَبَهًا، ومعنى الآية: إن الله لا يستحيي أن يبين الحق عبر التشبيه بأي شيء كائنًا ما كان، ولو كان المَثَلُ المذكور بعوضة، وهي واحد البَعوض، وهي حشرة ذات

أجنحة تمتص دم الإنسان، تسمى النامس والناموس. ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ قيل: في الكُبر، وقيل: في الصُّغر، يطلق فوق على الأكثر والأقل، فهو من الأضداد، فالله يضرب ما شاء من الأمثال أي: يذكر في القرآن ما شاء من الأمثال التي تقرب المعاني إلى الأذهان، وتوضح الحق، ولو كان المثل المضروب بعوضة أو أكبر منها أو أصغر منها، فالمؤمنون يؤمنون بما يذكره الله من الأمثال في كتابه، ويعلمون معانيها، والكافرون يعترضون عليها، ولا يفهمونها، والله يُضل بتلك الأمثال من يشاء من الكافرين والمنافقين، ويهدي بها من يشاء من المؤمنين. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ الحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وضده الباطل، وهو المضمحل الزائل. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ الإرادة صفة لله سبحانه، وهي نوعان: إرادة كونية بمعنى المشيئة، وإرادة شرعية بمعنى المحبة، فالإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع مثل إرادة الله بعباده اليُسر، وإرادته أن يعبده الناس، والإرادة الكونية لا بد من وقوعها سواء كانت مما يحبه الله أو لا يحبه، مثل إرادة الله انتصار المسلمين أو انتصار الكافرين، ومثل هداية الله من يشاء بفضله، وإضلاله من يشاء بعدله. ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ الخارجين عن أمر الله وطاعته، وأعظم الفسق الشرك بالله، ثم كبائر الذنوب. ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ الميثاق العهد المؤكد باليمين، والنقض رد الشيء إلى ما كان عليه، فنقض البناء هدمه، ونقض العهد إبطالُه ونكثُه. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ القطع فصل الشيء عن الشيء، والمراد قطع الصلاة وقطع الأرحام ونحو ذلك. ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من صفات الفاسقين أنهم يفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي. ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الخسارة النقصان والهلاك، فالفاسقون هم الخاسرون الجنة ورضا الله، وسيتركون بعد موتهم الدنيا، ويخسرون كل ما جمعوه فيها، ونهايتهم جهنم. ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: كنتم أمواتًا في العدم فأحياكم الله في الدنيا ثم يميتكم عند انتهاء أعماركم ثم يحييكم بالبعث بعد الموت، ثم تُجمَعون وتُرجَعون إلى الله يوم القيامة للحساب والجزاء، فإلى الله المصير، وإليه المنتهى والمستقر. ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ارتفع وقصد إلى بنائها، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ التسوية التقويم والتعديل، والمراد خَلَقَ السماوات السبع بإحكام وإتقان، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ العليم من أسماء الله الحسنى، فالله يعلم كل شيء تفصيلًا، يعلم ما مضى وما سيأتي، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسع كل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ كل ما ورد في القرآن {وإذ} التقدير: واذكر، فمعنى هذه الآية: واذكر حين قال ربك. والملائكة مخلوقون من نور، لهم أجنحة، يعبدون الله في كل حين، ويفعلون ما يأمرهم بلا تأخير. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ

خَلِيفَةً﴾ الخليفة هو الذي يقوم مقام غيره في الأمر الذي جُعِل إليه، وذرية آدم يخلف بعضهم بعضًا في الأرض جيلًا بعد جيل. ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ أعلم الله الملائكة أن البشر سيكون منهم فساد في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي، ﴿وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يصبها ويسيلها بالقتل، ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ﴾ التسبيح تنزيه الله عن النقائص التي يصفه بها المشركون والجاهلون، والمعنى: نصلي لك، وننزهك ونحمدك شكرًا وثناءً. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديس: التطهير والتعظيم، ومنه بيت المقدِس، والأرض المقدَّسة، والمعنى: ونحن نُطَهِّر ذِكْرَك عما لا يليق بك ونُعظمك. ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ فالله يعلم أنه لن يكون جميع البشر مفسدين في الأرض، بل سيكون منهم صالحون، يعبدون الله في السراء والضراء، ويحسنون إلى عباده، وهم الأنبياء وأتباعهم الصالحون. ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ آدم هو أبو البشر، وأول نبي عليه الصلاة والسلام، علَّمه الله أسماء كل شيء، فأي شيء يراه يعرف اسمه. ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ عرضُ الشيء إظهاره، فالله سبحانه أظهر بقدرته المسميات على الملائكة، وأمرهم أن يخبروه بأسمائها على وجه التعجيز؛ ليُظهر لهم ما اختص به آدم بالعلم بجميع المسميات، وأنه ليس كما ظنوا لا يكون فيه خير، فعجزوا عن معرفة أسمائها، وعرفها آدم عليه الصلاة والسلام. ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ سبحانك تنزيهٌ لله، والحكيم من الأسماء الحسنى، وله ثلاثة معان: الأول: حكيم في خلقه وفي شرعه وفي قدره. الثاني: حكيم بمعنى محكِم ومتقِن للأشياء التي يخلقها أو يُشرِّعها أو يُقدِّرها، فلا خلل في خلقه ولا في شرعه ولا في تدبيره. الثالث: حكيم بمعنى حاكم. ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ تبدون: تُظهِرون، تكتمون: تُخفون. ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ نون الجمع للتعظيم، وكان الرئيس والكبير من العرب إذا أخبر عن نفسه يقول: قلنا وفعلنا وسنفعل، لعلمه بأن أتباعه يقولون كقوله، ويفعلون ما يأمرهم بفعله. ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ السجود وضع الجبهة على الأرض، ويطلق على التذلل والخضوع، وسجود الملائكة لآدم سجود تحية وإكرام وتشريف، إظهارًا لفضله، لا عبادة له، بل عبادة لله الذي أمرهم بالسجود لآدم فأطاعوه، ومثل ذلك طواف المسلمين حول الكعبة، ليس عبادة لها، بل عبادة لله الذي أمرهم بالطواف بها. ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ إبليس مخلوق من النار، وهو أبو الجن، وكان يعبد الله مع الملائكة فامتنع عن السجود لآدم مع الملائكة، وتكبر عن طاعة الله بالسجود لآدم، وسأل الله أن يمهله ليضل عباده، فجعله الله وذريته فتنة للعباد، وحذرهم من شره ووساوسه، ويسمى إبليس الشيطان، وذريته منهم جِنٌّ شياطينُ كفرة، ومنهم جِنٌّ مسلمون صالحون. ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ أي: وصار من الكافرين، (كان) تأتي بمعنى صار كما في قوله تعالى: {فَكَانَ مِنَ

الْمُغْرَقِينَ} [هود: ٤٣]، وقيل: المعنى: وكان إبليس حين أبى السجود من الكافرين حينئذ، وقيل: كان من الكافرين في علم الله. ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الزوج يطلق على الأنثى والذكر، هذا الأفصح في اللغة، ويصح أن يقال للأنثى: زوجة، والمراد بالجنة هنا الجنة التي يدخلها المؤمنون في الآخرة، وعلى هذا أكثر العلماء والمفسرين. ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: كثيرًا واسعًا بلا عناء من أي مكان فيها ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لا دليل على بيان نوع هذه الشجرة، ولا حاجة لنا إلى معرفتها، نهاهما الله عن الاقتراب منها، ففيه سد الذرائع، والبعد عن أماكن الفتنة، ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: فتصيرا من الظالمين، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، وأخذ المرء ما ليس له، ومنع الحق عن مستحقه، ويطلق الظلم على الشرك وعلى النقص، كما قال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]، وقال سبحانه: {كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا} [الكهف: ٣٣]. ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ أي: استزلهما عن الجنة أو بسبب الشجرة، والزلل عثور القدم، والزلل في الرأي الخطأ، والمراد أن الشيطان أوقع آدم وحواء في الخطيئة ليُبعدهما عن الجنة بسبب الشجرة. ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ الهبوط الانحطاط من علو إلى سفل، ويطلق على الدخول والخروج، فهو من الأضداد، وبعض يطلق على الجزء ويقابله كل، والمراد آدم وحواء والشيطان، فلا تزال العداوة بين الإنس بعضهم بعضًا، وبين الإنس والشياطين، والعداوة اختلاف القلوب، والفرح بما يسوء الآخر، وكراهة ما يسره، والعدو يطلق على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار وإقامة، ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ المتاع ما يحصل للإنسان من عرض الدنيا من انتفاع واستمتاع كالزاد والنعيم واللذات، ومتاع الدنيا إلى أجل ينتهي، وهو وقت انتهاء الأعمار. ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي استقبل وقبل وأخذ، وهذه الكلمات هي المذكورة في قوله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: ٢٣]. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ التواب من الأسماء الحسنى، فالله يتوب على عباده، والتواب من الناس التائب المكثر من التوبة، وأصل التوبة الرجوع، وهي من العبد رجوع وإقلاع عن الذنب، ومن الله قبول ورحمة، والله يتوب على من تاب من عباده، ويوفق من شاء منهم للتوبة، ويقبل التوبة من عباده في الدنيا من أي ذنب كان، ولو من الشرك والكفر، أما في الآخرة فلا يغفر الشرك، ويغفر ما دونه لمن يشاء. ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ هدى الله هو الكتاب الذي ينزله على رسوله، والخوف توقع مكروه في المستقبل، والحزن يكون على شر وقع أو خير فات في الماضي. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ آيات الله تعم الآيات الشرعية والآيات الكونية ومعجزات الأنبياء، وأصحاب النار هم الكافرون الملازمون لها

على الدوام. ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إسرائيل هو النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام، ﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ أي: تنبهوا ولا تنسَوا، ﴿نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ النعمة اسم للشيء المنعَم به، ونِعَمُ الله دينية ودنيوية، ظاهرة وباطنة، عامة وخاصة، والواجب تذكر النعم بالقلب، وذكرها باللسان، وشكر الله عليها بالقول والعمل، ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ الوفاء تمام الشيء، وعهد الله كل ما أوصى به عباده، يعني: أدوا عهد الله وافيًا تامًا، ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ ، تفسير هذه الآية في قوله تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [المائدة: ١٢]، فما وعد الله به عباده المؤمنين من خير الدنيا والآخرة لا يكون إلا لمن تمسك بشرعه وعمل بطاعته، ومن ذلك النصر والتمكين في الدنيا، والمغفرة ودخول الجنة في الآخرة، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ خافون. ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ﴾ أي: آمنوا بالقرآن الكريم، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ موافقًا للتوراة لا يخالفها في إثبات التوحيد والإيمان بالرسل والبعث والحساب والجزاء والأخلاق ونحو ذلك، ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ أي: أول فريق جاحد بالقرآن وبالرسول محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ هو متاع الدنيا، ومهما كان كثيرًا فهو في الحقيقة قليل زائل، والآيات العلامات، وتُطلق على النِعم، وعلى المعجزات، وعلى المخلوقات، وهي الآيات الكونية، وتطلق على آيات الكتب التي أنزلها الله على رسله، مثل آيات التوراة وآيات القرآن، والثمن هو العوض المبذول في مقابلة المبيع، ويدخل في الآية علماء السوء الذين يكتمون ما بينه الله في كتابه من أجل الحصول على متاع الدنيا الفانية، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١﴾ أمر الله علماء اليهود أن يتقوا الله وحده، وأن لا يقدموا متاع الدنيا الفانية على الإيمان بالحق وبيانه للخلق. ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢﴾ اللَّبس الخلط، والمعنى: لا تخلطوا الحق بالباطل تزيينًا للباطل، وتنفيرًا من الحق، والآية عامة تشمل هذه الأمة، فمن خلط الحق بالباطل، وكتم الحق، فقد تشبه بعلماء اليهود. ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ الركوع له معنيان: الأول: الانحناء، والثاني: الخضوع، وفي الآية حث على صلاة الجماعة ووجوبها أو تأكيد استحبابها. ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾ البر: اسم جامع لكل خير، ويُطلق على الدين والطاعة، ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: تتركون أنفسكم من الخير، والنسيان يطلق على الترك كما في هذه الآية، ويطلق على السهو الحادث بعد حصول العلم، ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ تقرءون التوراة، وسميت القراءة تلاوة لأن الآيات أو الكلمات أو الحروف يتلو بعضها بعضًا في الذِّكر، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٤٤﴾ العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وأصله المنع، وقيل: الشد؛ لأنه يشد على المعنى الذي يفهمه في قلبه، وسياق الآية في علماء اليهود، وهي تعم من تشبه بهم من هذه الأمة، ممن يأمرون الناس بالخير ولا يعملون به، ويتلون القرآن ولا يعقلونه. ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ

﴿بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الصبر حبس النفس على المكروه، وأقسامه ثلاثة: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وفي الآية حث على الاستعانة بالصبر والصلاة في تحقيق المطالب الدينية والدنيوية، ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي الصلاة شاقة ثقيلة إلا على الخائفين من الله المتواضعين، وأصل الخشوع التذلل واللين. ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يظنون أي: يوقنون، يُطلق الظن على الشك وعلى اليقين، فهو من الأضداد، والظن التردد بين جائزين، والمراد به هنا اليقين، ولقاء الله يكون عند الموت، ويوم القيامة، ومن كان يرجو لقاء الله أحسن العمل، واستعد للأجل. ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فضَّل الله بني إسرائيل على العالمين في زمانهم، فكان فيهم الأنبياء والصالحون، وكان فيهم التوراة، ثم ضيعوا العلم النافع وكفروا وعملوا المنكرات فغضب الله عليهم ولعنهم، وإن كانوا من أحفاد الأنبياء، فمن أبطأ به عملُه لم يُسرِعْ به نسبُه. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ أي: لا تقضي ولا تغني عنها شيئًا، ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾ الشفاعة التوسط لجلب مصلحة أو دفع مضرة، ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ عدل أي: فدية. ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم﴾ أي: اذكروا حين نجيناكم، والتنجية الإنقاذ من الهلكة بعد الوقوع فيها، ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ هم قومه وأهل دينه، وفرعون اسم لمن مَلَك القِبط، وقيصر لمن ملك الروم، وكِسرى لمن ملك الفُرس، وتُبَّع لمن ملك اليمن، والنجاشي لمن ملك الحبشة، ويُقال: اسم فرعون مِنفِتاح بن رمسيس الثاني، والله أعلم. ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ يذيقونكم أشد العذاب، ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ﴾ أي: يستبقونهن أحياءً لخدمتهم، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾﴾ البلاء له ثلاثة معان: النعمة والاختبار والشدة، والمراد هنا النعمة، والإشارة إلى الإنجاء، وقيل: المراد الاختبار، والإشارة إلى العذاب. ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي: فلقناه لكم، والمراد البحر الأحمر، قيل: موضع ذلك في خليج السويس، والله أعلم، ﴿فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي: تُبصِرونهم وهم يغرقون. ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ الوعد يكون في الخير والشر، يقال: وعدته بنفع وضر، والوعيد في الشر خاصة، يقال منه: أوعدته، وموسى هو ابن عِمران، من نِسْل لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، أرسله الله إلى فرعون وقومه وإلى بني إسرائيل، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: إلهًا، ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: من بعد أن فارقكم موسى إلى جبل الطور واستخلف عليكم أخاه هارون عليهما الصلاة والسلام، ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ بعبادة العجل المصنوع من الحلي، وزعمكم أنه إلهكم. ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: محونا عنكم ذنوبكم، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ الشكر يكون بالقلب اعترافًا بالنعمة، وباللسان ثناءً، وبالجوارح عملًا صالحًا، فمن عصى الله بنعمة لم يشكره عليها. ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الفرقان ما يفرق بين الحق والباطل، والمراد بها

هنا: التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم وموجدكم من العدم،﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل: المعنى: ليقتل البريء المجرم، وفي الأخبار الإسرائيلية أن الله تاب عليهم بعد أن قتل من لم يعبد العجل من عبده، وفي ثبوت ذلك نظر، فظاهر الآية أن الله نسخ الأمر بالقتل، وعفا عن بني إسرائيل من غير أن يقتل بعضهم بعضًا، واليهود ينكِرون النسخ مطلقًا؛ ولهذا أنكروا شريعة عيسى وشريعة محمد عليهما الصلاة والسلام، وإثبات نسخ هذا الأمر حجة عليهم، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ ، ظاهر الآية أن الله تاب عليهم ورفع عنهم الأمر الشديد بالقتل، ولي رسالة في بيان هذا الأمر بعنوان: هل قتل بنو إسرائيل أنفسهم بسبب عبادتهم العجل ليتوب الله عليهم؟ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: نبصر الله علانية بلا حجاب، ولا يمكن لأحد أن يرى الله سبحانه في الدنيا، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الصاعقة نار تنزل من السماء مع صوت شديد، وتُطلق على العذاب المهلِك. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ أحياهم الله في الدنيا بعد أن أماتهم.﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ أي: جعلنا السحاب الأبيض الرقيق ظِلًا لكم من حر الشمس مع بقاء ضوئها، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ المنّ شيءٌ حلو يشبه العسل يكون على الشجر كالصمغ، والسلوى طائر صغير مثل الحَمَام يُسمى السُّمانى، وقيل: يُشبه السُّمانى، ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ الطيبات من الرزق المباح اللذيذ المفيد. ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ قيل: هي مدينة بيت المقدس، وفلسطين أرض الأنبياء وأتباعهم الموحدين، والمسلمون أحق بموسى وبأرض فلسطين المباركة من اليهود المغضوب عليهم، فقد كفروا وخالفوا دين الأنبياء، وكان هذا الأمر لبني إسرائيل بعد موت النبي موسى، في عهد النبي يوشع بن نون، ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أمر الله بني إسرائيل أن يأكلوا من أي مكان من بيت المقدس رزقًا واسعًا هنيئًا، وأن يسجدوا لله شكرًا له عند باب المدينة إذا دخلوها فاتحين، وأن يقولوا: حِطة يعني حُطَّ عنا ذنوبنا، ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أي: نستر خطاياكم، ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ، جمع محسن، والإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق بالإتقان والمراقبة، وإحسان مع الخلق بالعطاء وحسن المعاملة. ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ التبديل تغيير الشيء بغيره، وجاء تفسير هذه الآية في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: {ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} فَبَدَّلُوا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ)) رواه البخاري ومسلم، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذابًا، ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بسبب خروجهم عن طاعة الله إلى معصيته بالقول والفعل ومخالفة شريعته. ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾

أي: واذكر حين طلب موسى من الله الماء ليشرب منه قومه بنو إسرائيل، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ الانفجار انصداع شيء من شيء، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي: علم كل سبط من أسباط بني إسرائيل موضع شرابهم من العيون الخارجة من الحجر، فلا يزاحم بعضهم بعضًا، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ العثو أشد الفساد بالكفر والمعاصي والقتل والنهب والظلم. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ هو المن والسلوى، وصف بأنه واحد لأنه لا يختلف في كل يوم، ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ البَقْل هو النبات الذي تخضر منه الأرض مما لا ساق له مثل الفُجل والنعناع والكراث والجرجير والخس ونحو ذلك، والقِثَّاء نوع من الخيار طويل مخطط لونه أخضر، والفوم هو الثوم، وقيل: الحِنطة، وقيل: الحبوب التي تُطحن وتُخبز، والعدس والبصل من البُقول المعروفة. ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ أدنى أي: أحط في المنزلة، وكل من سئم النعمة المتيسرة، واستبدل الأدنى بالذي هو خير بلا ضرورة، فإنه يستحق التوبيخ، وفيه شبه باليهود، ومنهم الذين يختارون الحرام على الحلال، ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ المصر البلد، والمراد أيُّ مصرٍ من أمصار الشام وبلاد النيل وغيرها، ففي أي بلد توجد تلك البقول، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: جعل الله عليهم الذُّل وفقر النفس، فالمهانة ملازمة لليهود في جميع أحوالهم، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ انصرفوا ورجعوا بغضب الله، والغضب صفة ثابتة لله سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ كيحيى بن زكريا، وقيل: إن اليهود قتلوا أباه أيضًا، وقتلوا شبيه عيسى بن مريم، وهم يحسبونه النبي عيسى، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ العصيان عدم الانقياد لأمر الله ونهيه، والمعنى: أن الذلة والمسكنة وغضب الله على اليهود سببه عصيانهم لله ومخالفتهم شريعته وظلمهم عباده، ومن عصى الله واعتدى على عباده من هذه الأمة فهو مثل اليهود في الذلة واستحقاق غضب الله. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ المراد بالذين آمنوا المتبعون شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، والذين هادوا أي: تهودوا وصاروا يهودًا، وهم المتبعون شريعة موسى عليه الصلاة والسلام، والنصارى هم المتبعون شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام، والصابئون هم الباقون على فطرتهم أو الخارجون من دين إلى دين، وكان منهم موحدون يعبدون الله، ومنهم مشركون يعبدون النجوم وغيرها، وهذه الآية في الموحدين أتباع الأنبياء، الذين لم يحرفوا دينهم، وماتوا على دين الأنبياء قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو أدركوه وآمنوا به، ولم يكفروا بالقرآن، فلهم ثوابهم على الإيمان الصحيح والعمل الصالح. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي: الجبل، وقيل: الجبل ذو

الشجر دون غيره، والمراد جبل في سيناء، رفعه الله فوق بني إسرائيل تخويفًا لهم ليعملوا بالتوراة، كما قال تعالى: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} [الأعراف: ١٧١]، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ أي: تعلموا التوراة بجد ونشاط، ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٦٣﴾ هذا هو المشروع في تعلم كتاب الله، أن يتعلمه الإنسان بقوة ونشاط واجتهاد، وأن يتدبره ويتذكر ما فيه من الآيات ليؤمن بها، ويعمل بها. ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: أعرضتم عن العمل بالتوراة بعد الميثاق المؤكَّد وبعد أن رفع الله الجبل فوقكم، ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤﴾ لم يعاجل الله اليهود بالعقوبة مع إعراضهم عن العمل بكتابه، فأمهلهم برحمته، وتفضل عليهم بالنعم الدينية والدنيوية مع كثرة شرهم. ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾ أي: مطرودين ذليلين، وهم الذين احتالوا في صيد الحيتان يوم السبت، وقد حرم الله عليهم العمل فيه، فلعنهم الله ومسخهم قردة. ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٦٦﴾ أي: فجعلنا عقوبة أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى وما خلفها ليتعظ الناس بهم حين يعرفوا قصتهم، ويحذروا من مخالفة أمر الله ونهيه بالحِيَل، وليخاف المتقون من سوء عاقبة المعاصي. ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ هي الأنثى من البقر، وقد تُطلق على الثور الذكر، وكان بنو إسرائيل قُتِل منهم رجلٌ لم يَعرفوا قاتله، فطلبوا من موسى أن يخبرهم بقاتله، فأوحى الله إليه أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة ليعرفوا القاتل، ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا﴾ أي: سخريًا واستهزاءً ولعبًا، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ أي: أعتصم بالله أن أكون من الجاهلين جهل حِلم، وهو الطيش والاستهزاء بالناس، ويُطلق الجهل أيضًا على جهل العلم، والله أعلم. ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾ أي: بقرة لا كبيرة انقطعت ولادتها بسبب كِبَرِها، ولا صغيرة لم تلد لصِغر سنها، بل هي متوسطة بين الكبيرة والصغيرة. ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ أي: لونها شديد الصفرة، يقال: أصفر فاقع، وأسود حالك، وأبيض ناصع، وأحمر قانٍ، ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ أي: تُفرِح قلبَ من ينظر إليها لجمالها. ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾ أي: إن البقر يشبه بعضه بعضًا فلم ندر ما نختار، وهذا من تعنتهم وتنطعهم، وكان الواجب عليهم أن يبادروا بالطاعة، ويذبحوا أي بقرة مهما كان سنها ولونها وحالها كما هو مطلق الأمر، فمن تعنت من هذه الأمة بعد وضوح الأمر، وتنطع وأكثر الأسئلة فقد تشبه باليهود المغضوب عليهم، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ)). ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا

تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾ أي: ليست بقرة سهلة الانقياد، غير مذللة لحرث الأرض، وليست ناضحة تسقي الأرض المزروعة، ﴿مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أي: سالمة من عيوب الأبقار، والشية اللَّمعة المخالفة للون، والمعنى: لا لون فيها غير لونها الأصفر، ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾ في هذه الآيات أن من شدَّد على نفسه شدَّد الله عليه، وأن كثرة الأسئلة والتعنت ليست من صفات المتقين المسارعين في الخيرات، بل من صفات المتنطعين المتكلفين، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)). ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢﴾ أي: تدافعتم واختلفتم في القتيل، والله مظهر القاتل، ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾ أي: اضربوا القتيل ببعض أجزاء البقرة المذبوحة، فأحياه الله بقدرته، وأخبر الناس بمن قتله. ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ أي: يبست قلوبكم وصلبت، والقساوة غلظ القلب وصلابته، فلا رحمة فيه ولا خشوع، وقسوة القلوب من صفات اليهود ومن شابههم من هذه الأمة، ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: تهبط من المكان المرتفع بسبب الخوف من الله وتعظيمه، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤﴾ الغفلة بمعنى النسيان والسهو، وهي صفة منفية عن الله تعالى، فهو علام الغيوب، لا يغفل ولا ينسى سبحانه. ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ الطمع رجاء الشيء والرغبة فيه، ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ طائفة من اليهود، ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ يحرفونه: يُغيرونه، والتحريف يكون بتغيير الألفاظ أو تغيير المعاني، وعلماء اليهود حرَّفوا التوراة بالنوعين، ومن يُحرِّف معاني القرآن الكريم من علماء السوء ففيهم شبهٌ بعلماء اليهود، ولا يمكن لأحد أن يُحرِّف ألفاظ القرآن الكريم. ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٧٦﴾ الفتح إزالة الإغلاق، والمعنى: أتخبرون المؤمنين بما علَّمكم الله وبين لكم في التوراة من بِعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام؛ لتكون للمسلمين الحجة عليكم يوم القيامة؟! ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٧٧ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ أميون لا يقرءون ولا يكتبون، أماني جمع أُمنية، وهي التلاوة، ومنه قوله تعالى: {إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: ٥٢] أي: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته بعض الشبهات، والأماني: الأكاذيب وما يتمناه الإنسان ويشتهيه، والآية تحتمل المعنيين: التلاوة والأكاذيب، فمن صفات اليهود: التلاوة بلا تدبر، والاغترار بالأمنيات الكاذبة كدعواهم أنهم شعب الله المختار، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، وأن لهم الجنة خاصة من دون الناس، ويجب على المسلمين الحذر من الاتصاف بصفات اليهود، وأن يتدبروا

القرآن ويتبعوا الحق، ولا يغتروا بالأماني الكاذبة. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ويلٌ كلمة تهديد ووعيد، وتأتي بمعنى الهلاك لمن لا يُرجى نجاته، وورد في حديث ضعيف: (ويلٌ واد في جهنم)، رواه الترمذي في سننه وبيَّن ضعفه وغرابته، ولا يصح الاعتماد على هذا الحديث الضعيف في تفسير كلمة (ويل). ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قال اليهود: لن تصيبنا النار إلا أيامًا قليلة، ثم يُخرجنا الله منها، وكل من اعتقد أن الله يُخرجه من النار مع كفره فقد تشبه باليهود في هذا الاعتقاد الخاطئ، أما خروج الموحدين من النار برحمة الله وفضله فهو ثابت بأدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة، ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ليس عند اليهود عهد من الله أنه يخرجهم من النار، وإنما يقولون على الله ما لا يعلمون بلا دليل. ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ المراد بالسيئة هنا الشرك، فهي سيئةٌ تُحيط بصاحبها من كل جانب وتحبط عمله وتوجب له الخلود في النار. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ أخذ الله العهد المؤكد على اليهود أن يعبدوا الله وحده، وأن يحسنوا إلى الوالدين وجميع الأقارب من جهة الآباء والأمهات، واليتامى هم الذين مات آباؤهم وهم صغار قبل البلوغ، والمساكين جمع مسكين، وهو الذي سكنه الفقر أي: قلَّل حركته، وأمرهم الله بالقول الحسن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فأعرض اليهود عن العمل بهذه الأوامر، فظهر فيهم الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقطع الأرحام، ولم يحسنوا إلى اليتامى والمساكين، وساءت أخلاقهم في مخاطبة الناس ومعاملتهم، وتركوا إقامة الصلوات، فلا يصلي اليهود إلا يومًا في الأسبوع، ولم يؤتوا الزكاة الواجبة في أموالهم، وكل من أعرض عن هذه الواجبات من هذه الأمة فقد تشبه باليهود المغضوب عليهم، كالذين يقعون في الشرك بالله وعقوق الوالدين وقطع الأرحام، والذين لا يصلون إلا يوم الجمعة، والذين يمنعون الزكاة. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: اعترفتم بحرمة القتل وظلم الناس بإخراجهم من مساكنهم. ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: يا هؤلاء، ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أي: تتعاونون عليهم بما فيه إثم، والإثم ما يستحق فاعله اللوم والعقاب، والعدوان الإفراط في التعدي والظلم، حرَّم الله على اليهود أن يقتل بعضهم بعضًا، وحرم عليهم أن يتعاونوا على ظلم بعضهم وإخراجهم من مساكنهم وبلدانهم، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ الأسارى هم

المأخوذون قهرًا في الحرب وغيرها، تفادوهم أي: تُخلِّصوهم من الأسر بالفداء، بمالٍ أو بمبادلة بين أسرى الفريقين المتحاربين، كان اليهود إذا تحاربوا فيما بينهم يخلصون الأسرى عملًا بما في كتابهم من افتداء الأسرى، ولا يمتثلون ما حرَّم الله عليهم من سفك الدماء وظلم الناس بإخراجهم من ديارهم، وكل من حارب إخوانه المسلمين وأراق دماءهم ونفاهم وأسرهم، ثم سعى في فدية الأسرى ففيه شبهٌ باليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ الجزاء المقابلة على الخير بالثواب، وعلى الشر بالعقاب، ﴿إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ هوان وفضيحة وهلاك، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ يُردون: يُصرفون ويُرجعون، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٨٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ اشتروا: استبدلوا، والدنيا سميت بذلك لدنوها وسبقها الآخرة، وسميت الآخرة بذلك لأنها بعد أيام الدنيا، وهي الحياة الأبدية التي لا نهاية لها، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٨٦ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ قفينا: أتبعنا، والرسل جمع رسول، وهو المؤدِّي عن الله ما أوحاه إليه، ويُرسله الله إلى قوم كافرين، وغالبًا يكون للرسول كتاب وشريعة، والنبي مَن أوحى الله إليه من غير أن يرسله إلى قوم كافرين، بل يكون بين قوم مؤمنين بشريعة رسول قبله، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، فمن الأنبياء الذين ليسوا رسلًا: آدم وإسحاق ويعقوب وإدريس وزكريا ويحيى، ومن الرسل الأنبياء: نوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل ولوط وشعيب وموسى وهارون وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والتسليم، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ هي المعجزات المذكورة في قوله تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ} [آل عمران: ٤٩]، ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أي: قويناه بجبريل عليه السلام، سُمِّي جبريلُ روح القُدس لأنه يأتي بالوحي الذي فيه حياة القلوب وطهارتها، ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ من صفات اليهود تقديم ما تميل إليه نفوسهم على هدي الرسول، والتكبر عن قبول الحق، وقتل من يدعوهم إلى الحق، ومن اتصف بهذه الصفات من هذه الأمة فهو مثل اليهود. ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ أي: محجوبة مغطاة لا تفهم كلام من يدعوهم إلى الله وينصحهم، ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي: طردهم الله وأبعدهم من رحمته بسبب كفرهم، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ۝٨٨﴾ أي: لا يؤمنون إلا بشيء يسير مما يجب عليهم التصديق والعمل به، والواجب الإيمان بكل ما يجب الإيمان به، وقبول كل ما جاءت به شريعة الله سبحانه. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ هو القرآن الكريم، موافق لما معهم من التوراة، ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ

﴿ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ كان اليهود من قبل بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام يستنصرون بالنبي الذي ينتظرونه بمعنى يطلبون ببعثته النصر على كفار العرب، فاليهود كانوا يعلمون من كتبهم أن الله سيبعث نبيًا في آخر الزمان، وأنه سيهاجر إلى مدينة يثرب، فانتقلوا إليها وسكنوا فيها وقريبًا منها منتظرين بعثته، وكانوا يقولون للعرب إذا حصل بينهم شرور وقتال: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه، فلما بعث الله رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم أسلم الأنصار أهل المدينة، وكفر اليهود بالنبي محمد لما وجدوه عربيًا، وكانوا يرجون أن يكون إسرائيليًا. ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ بئس كلمة موضوعة لإنشاء الذم، والمعنى: قبُح ما باعوا به أنفسهم، ﴿أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا﴾ أي: ظلمًا وحسدًا وتطاولًا، ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ من أجل أن يُنزِّل الله وحيه على من يشاء من عباده، وكان الواجب على اليهود أن يؤمنوا بالنبي المبشَّر به في التوراة، سواء كان إسرائيليًا أو عربيًا، ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي: رجعوا بغضب من الله بسبب كفرهم بالرسول محمد والقرآن بعد غضبه عليهم بسبب كفرهم بالرسول عيسى والإنجيل، ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ مذل. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ وإذا قيل لليهود المعاصرين للنبي محمد: آمنوا بالقرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، قالوا: نؤمن بالتوراة فقط، ويكفرون بالإنجيل والقرآن، ﴿قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ أي: قل يا نبيَّنا محمدُ لليهود: إن كنتم مؤمنين بالتوراة حقًّا فلِم قتل أجدادُكم الأنبياءَ ورضِيتم بقتلهم؟! ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالمعجزات الواضحات كالعصا وانشقاق البحر وانفجار عيون الماء من الحجر، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ أي: ثم اتخذتم العجل معبودًا من بعد أن فارقكم موسى إلى جبل الطور واستخلف عليكم هارون عليهما الصلاة والسلام. ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ أي: حُبُّ العِجل، على حذف المضاف، والمعنى: خالط حُبُّ العِجلِ قلوبَهم بسبب كفرهم بالحق، ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أي: قل لليهود: إن كانت الجنة خاصة بكم كما تزعمون فتمنوا الموت لتدخلوا الجنة. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي: بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي والظلم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ الحِرص: شدة الطلب، فاليهود أحرص الناس على البقاء في الحياة وإن كانت حياة مهينة، وهم أحرص على الدنيا من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ أي: يتمنى اليهودي لو يطول عُمُره ألف سنة، وما طول عُمُرِه بمبعِده ومُنْجِيه

من عذاب النار، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ جبريل وميكال مَلَكان كريمان، ويقال في اسميهما: جَبْرِيل وجَبْرَئِيل ومِيكائيل ومِيكائِل، وجبريل أعظم الملائكة، وكان يَنزل بالوحي على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وكان بعض اليهود المعاصرين للنبي محمد عليه الصلاة والسلام يكرهون جبريل لأنه ينزل بالعذاب بإذن الله، ويحبون ميكائيل لأنه ينزل بالرحمة والمطر، وزعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، وقالوا للنبي محمد: لو كان الذي يَنزل عليك بالقرآن ميكائيل لآمنا بك، فأنزل الله هاتين الآيتين ردًّا عليهم. ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ المراد بالآيات هنا آيات القرآن الكريم التي أنزلها الله على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فهي دلائل واضحة تدل على الحق بلا خفاء. ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ نبذه: تركه وألقاه وطرحه على وجه الاستحقار، فمن صفات اليهود نقض العهود، وشابههم في ذلك الفاسقون من هذه الأمة، ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠﴾ أكثر اليهود لا يصدقون بالحق اعتقادًا وقولًا وعملًا، وفي كل زمان لا يؤمن منهم إلا قليل، حتى في عهد أنبيائهم. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم، يصدق ما مع اليهود من التوراة قبل تحريفها، وفي التوراة التبشير بمجيئه، والأمر بالإيمان به، ﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١﴾ ترك طائفة من أهل الكتاب كتابهم وراء ظهورهم، متجاهلين ما فيه من البشارات بمحمد عليه الصلاة والسلام، كأنهم لا يعلمون تلك البشارات المذكورة، فهم معرضون عن اتباعها، ويزعمون أن المقصود بها نبيٌّ آخر غير محمد عليه الصلاة والسلام. ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ تتلوا بمعنى تقرأ، ﴿عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: في زمان النبي سليمان عليه الصلاة والسلام، أي: اتبع اليهود ما تُحدِّث به الشياطينُ من السِّحر الذي ينسبونه إلى سليمان، وافتروا عليه أنه كان ساحرًا، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ لم يكن النبي سليمان كافرًا يستعمل السحر، بل الذين كفروا بسبب السحر الشياطين الذين يُعلمون الناس السحر، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ أي: ويعلمونهم السحر الذي أُلْهِمه الملَكين ببابل، وهي مدينة في العراق، وهاروت وماروت ملَكان ألهمهما الله السحر فتنة للناس، والله يبتلي العباد بما شاء، وقصتهما غير مفصَّلة في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، ولا عِلم لنا إلا ما علَّمنا اللهُ سبحانه، ولا ينبغي التكلف في طلب معرفة قصتهما، ولا يجوز الاعتماد على الأخبار الإسرائيلية التي يكثر فيها الكذب والزيادة والنقصان، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ فتنة: بلاء واختبار، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعلمه وقدرته ومشيئته، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: علم السحرة أن من اختار السحر وتعلمه وقدَّمه على كتاب الله فليس له في الآخرة نصيب من الجنة، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: باعوها، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ أي: لو كانوا يعلمون عاقبة تعلم السحر وأنه علم مذموم لما اختاروه، ويؤخذ من هذه الآية نفي العلم عمن كان عنده علم نافع لا يعمل به، أو كان عنده علم لا ينفع كالسحر. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: لو أن السحرة آمنوا واتقوا الله بدل تعلم السحر وتعليمه والعمل به لحصل لهم ثوابٌ عظيم من عند الله أعظم مما يحصلون عليه بسبب السحر. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ راعنا من المراعاة، وهي العناية بالشيء والمحافظة عليه، أي: راع أحوالنا وحافظنا أو راعنا سمعك فافهم عنا وأفهمنا، ﴿وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ انظرنا أي: انظر إلينا وتعهدنا أو انتظرنا وأمهلنا حتى نفهم عنك ونتعلم منك، وكان اليهود يقولونها للنبي ويقصدون بها السب من الرعونة، فأمر الله تعالى المؤمنين أن لا يقولوها حتى لا يتشبهوا باليهود في قولها، ويستفاد من هذه الآية مشروعية الأدب، والحرص على اختيار الألفاظ الحسنة، وتجنب ما يوهم سبًا، والحذر من قبول ما يصدر من الكفار إلا إذا تبين خلوه من المخالفات الشرعية والمقاصد السيئة، ويستفاد من الآية أنه ينبغي لمن نهى الناس عن شيء أن يدلهم على ما هو خير منه. ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هذه الآية بداية الآيات التي فيها تهيئة نفسية للمسلمين قبل نسخ القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يختص: يؤثر، والاختصاص بالشيء الانفراد به، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ صاحب العطاء الكبير في الدنيا والآخرة لمن يشاء. ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ النَّسخ لغة: الإزالة والنقل، وشرعًا: رفعُ حُكمِ دليلٍ شرعيٍ أو لفظِه بنصٍ من القرآن أو السنة، كما نسخ اللهُ في أول الإسلام استقبال المسجد الأقصى في الصلاة إلى استقبال المسجد الحرام، فأتى اللهُ المسلمين بحكمٍ خيرٍ من الحُكم المنسوخ، وفي النَّسخ حِكمٌ عظيمة، وغالبًا يكون الناسخُ تخفيفًا على المسلمين، أو تكثيرًا لأجورهم، وقوله: {نُنسِهَا} من النسيان ضد الحفظ، وفي قراءة: {نَنسَأْها} أي: نؤخِّر إنزالها، قال الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعلى: ٦، ٧]، فبعض الآيات نزلت على النبي عليه الصلاة والسلام ثم أنساه الله تلاوتها، ومحاها من القلوب، وبعض الآيات أخَّر الله إنزالها على رسوله إلى آخر حياته. والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع: الأول: نسخ التلاوة والحُكم معًا، ومثاله: ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان فيما أُنزِل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرِّمن، ثم

نُسِخن بخمس معلومات)، والثاني: نسخ التلاوة دون الحكم، ومثاله آية رجم الزاني المحصن، والثالث: نسخ الحكم دون التلاوة، والآياتُ التي نُسِخ حكمُها وبقي لفظُها في القرآن الكريم ثمان آيات فقط هي:

١) ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] منسوخة بآيات المواريث، فلا وصية لوارث كالوالدين، أما الوصية للأقارب غير الورثة فهو مُحكَمٌ غير منسوخ.

٢) ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] نسخها قوله تعالى بعدها: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٣) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] نسخها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وهذه الآية الناسخة متقدمة على الآية المنسوخة في ترتيب آيات سورة البقرة، وقيل: ليست منسوخة، والوصية إلى سَنةٍ مستحبةٌ لا واجبة، والقول بنسخها هو المشهور، والله أعلم.

٤) ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا * وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء: ١٥، ١٦] نسخ حكمَ هاتين الآيتين قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، وآية الرجم التي نُسِخ لفظُها وبقي حكمُها، وهي قوله: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)، وما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في جلد الزاني غير المحصن، ورجم الزاني المحصن.

٥) ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] نسخها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

٦) ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] نسختها الآية التي بعدها: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

٧) ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢] نسختها الآية التي بعدها: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ١٣].

٨) ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: ٢ – ٤] هذه الآيات في أول سورة المزمل نسختها الآية التي في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ المعنى: وليٌّ قريبٌ يقيم أمركم، ولا ناصرٌ ينصركم. ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ هي أسئلة التعنت والاعتراض واقتراح المعجزات، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ أي: حاد عن وسط الطريق، فكل من ارتد عن الإسلام فقد ضل عن الطريق المستقيم، وانحرف إلى غيره من الطرق المهلكة. ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ يتمنى كثيرٌ من اليهود والنصارى أن يضلوا المسلمين، ويجعلوهم مرتدين بعد إيمانهم، ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ العفو ترك العقوبة على الذنب، والصفح ترك اللوم، والإعراضُ عن الذنب، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: بحكمه فيهم، وقد قال بعض المفسرين بنسخ هذه الآية ونحوها من الآيات التي فيها الأمر بالعفو عن الكافرين والإعراض عنهم والصبر عليهم، وزعموا أنها منسوخة بآية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، والراجح أنها آيات محكمة، أمر الله بها المسلمين في حال ضعفهم، وآية السيف وغيرها من آيات الجهاد محكمة، أمر الله بها في حال قوة المسلمين، وليست ناسخة لآيات العفو والصفح والصبر، فلم يأمر الله بالعفو عن الكافرين والإعراض عنهم مطلقًا، بل إلى غاية، وهذا لا يدخل في المنسوخ، فلما صار للمسلمين قوة ودولة أمرهم الله بالجهاد، وقد يحسن الصبر والعفو والإعراض عن الكافرين حتى في حال قوة المسلمين، وقد ثبت في السيرة النبوية عفو النبي عليه الصلاة والسلام عن كثير من الكافرين في حال قوته، كعفوه عن كفار قريش حين فتح مكة، فالعفو عن الكافرين والمنافقين أو عقوبتهم وجهادهم يُرجع فيه إلى مصلحة الإسلام والمسلمين، سواء في حال قوة المسلمين أو ضعفهم، ولا يصح دعوى نسخ آية مع إمكان كونها محكمة، قال ابنُ الجوزي في مقدمة كتابه

نواسخ القرآن: "معلومٌ أن نسخ الشيء رفعُ حكمه، وإطلاقُ القولِ برفع حُكمِ آيةٍ لم يُرفع جُرأةٌ عظيمةٌ".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: تجدوا ثوابه محفوظًا عند الله لا يضيع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ البصير من أسماء الله الحسنى، فهو يرى كل شيء وإن صغر وخفي، يرى ما في باطن الأرض والجبال، وما في بطون الحيتان في أعماق البحار، ويرى ذرات الهباء وقطرات الماء، ويرى أعمال العباد، ويرى الأرواح في الأجسام، ويراها بعد خروجها من الأجساد، ويرى ما تفرق من أجزاء الموتى، ويرى كل ذرة في ملكوت السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا، ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ أكاذيبهم وأباطيلهم وأوهامهم الفاسدة، ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ أي: أحضروا وقرّبوا حجتكم ودليلكم. ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾ أي: ليس الأمر كما يزعم اليهود والنصارى، بل من أخلص عبادته لله وحده، وهو محسنٌ باتباع الإسلام، وأحسن في عبادة الله، وأحسن إلى عباد الله؛ فهو من أهل الجنة، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه بعد الموت وفي الآخرة، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا الفانية من خير أو وقع عليهم من بلاء. ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: ليسوا على شيء من الدين الصحيح، أنكر كل منهما ما مع الآخر من الحق وهم يتلون التوراة والإنجيل، وهذا خلاف الإنصاف، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ هم مشركو العرب وغيرهم، أنكروا ما مع أهل الكتاب من الحق، وادعت كل طائفة أن الحق معها دون غيرها تعصبًا بلا بينة، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾ أي: لا أحدَ من المانعين أظلمُ ممن منع عبادة الله في المساجد، واجتهد في إفسادها حسيًّا ومعنويًّا كمن يهدمها أو يمنع عبادة الله فيها، مثل كفار قريش الذين منعوا المسلمين من عبادة الله في المسجد الحرام، وشرع الله جهاد هؤلاء الظالمين حتى يخافوا من المسلمين، ولا يدخلوا مساجد الله إن دخلوها إلا وهم خائفون من المجاهدين أن يقتلوهم أو يأسروهم، ولهم في الدنيا هوانٌ، ولهم في الآخرة عذاب النار. ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ أي: لله جهة المشرق التي تطلع منها الشمس، وجهة المغرب التي تغيب منها، فلله جميع الجهات، فإلى أي جهة تتوجهوا في صلاتكم بأمر الله فهناك القبلة التي شرعها الله لكم، وهذا تمهيد قبل الأمر بتحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، ويؤخذ من هذه الآية جواز صلاة النافلة في السفر

على الراحلة ونحوها إلى أي جهة كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بسنته الفعلية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ الواسع من أسماء الله الحسنى، بمعنى واسع الصفات والعظمة، واسع العلم والرحمة والسلطان والملك والفضل والإحسان. ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ أي: يتنزه الله عن النقائص التي يصفه بها المشركون والجاهلون كاتخاذ ولد أو شريك، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ أي: خاضعون مطيعون، فكيف يكون عيسى أو غيره ولدًا أو شريكًا لله سبحانه؟! ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بديع: مبدع، أي: الله خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ أي: إذا أراد شيئًا، ومن ذلك أنه خلق عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بكلمة كن، من غير أب. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ لولا أي: هلَّا، آية: معجزة تدل على أن الله هو المستحق للعبادة وحده، وأن محمدًا رسوله، وأن القرآن كتابه، وهذا من تعنت كفار العرب، فالحق واضح لا يحتاج إلى معجزة، وهو يوافق العقل والفطرة، والدلائل على الحق كثيرة لا تخفى على منصِف، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ أي: قول كفار العرب المعاصرين للنبي محمد عليه الصلاة والسلام الذين طلبوا المعجزات ليؤمنوا بالحق مطابق لقول من قبلهم من اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم السابقة الذين تعنتوا واستكبروا عن اتباع الحق، ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي: تشابهت قلوب كفار العرب مع كفار الأمم السابقة في الكِبْر والتعنت والعناد ومخالفة الأنبياء وطلب المعجزات، ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ أي: قد بينا العلامات الواضحة التي تدل على صدق الرسل بلا شك لقومٍ يصدقون بالحق. ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الخطاب للرسول محمد عليه الصلاة والسلام، فهو يُبشر المؤمنين المتبعين الحق بخير الدنيا والآخرة، ويُنذر الكافرين والمنافقين والفاسقين بالعذاب في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ أي: لست مسئولًا عن عدم إيمانهم، إنما عليك البلاغ، وعلى الله الحساب، وفي قراءة: {ولا تَسْأَل} أي: لا تَسأل عمن مات منهم على كفره وإجرامه، فعذابهم فظيعٌ لا يتصوره عقل إنسان. ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ ملتَهم: دينَهم وطريقتَهم، فاليهود والنصارى لا يرضون عن أحد حتى يتبع دينهم وطريقتهم، ويكون مثلهم متبعًا لأهوائهم، واتباع أهواء اليهود والنصارى ضلال وخسران في الدنيا والآخرة. ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ التلاوة تُطلَق على الاتباع وعلى القراءة، أي: يتبعونه حق اتباعه، ويقرءونه حق قراءته، نزلت الآية في أهل الكتاب الصالحين الذين اتبعوا كتابهم الذي يبشر بمحمد عليه الصلاة والسلام، وآمنوا بالقرآن، وهي تعم المتبعين للقرآن من هذه الأمة، الذين يتبعون آياته، ويرتلونه ويتدبرونه، ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ

بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ أي: ومن يكفر من أهل الكتاب بكتابه بأن ينكر بعض ما فيه أو يحرفه ويبدله فهم الخاسرون، وهذه الآية تدل على أن اليهود كفروا بالتوراة، وأن النصارى كفروا بالإنجيل؛ لأنهم لم يأخذوا بما فيها من البشارة بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام، وحرفوها وبدلوها، والمؤمنون بالتوراة والإنجيل حقًّا يؤمنون بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلَام سيد اليهود وأعلمهم، والنجاشي النصراني ملك الحبشة، فكل منهما آمن بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام، فاليهود والنصارى إذا تدبروا كتابهم بصدقٍ وإنصافٍ سيؤمنون بالنبي محمد، ومن يتدبر القرآن الكريم يؤمن بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [القصص: ٥٢، ٥٣]، ومع تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل إلا أنه لا يزال فيها بشارات بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه أمثلة على بعض البشارات المذكورة في التوراة والإنجيل:

البشارة الأولى: في سِفر التثنية (١٨/ ١٧، ١٨): (قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به).

البشارة الثانية: في سِفر التثنية (٢٣/ ٢): (فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم)، وسعير اسم لجبال فلسطين، وفاران اسم مكة بالعبرانية، فمعنى مجيئه من سيناء: إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام، وإشراقه من سعير: إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام، واستعلائه من جبل فاران: إنزاله القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والدليل من التوراة على أن فاران مكة ما جاء في سِفر التكوين (٢١/ ٢٠، ٢١) في بيان حال إسماعيل عليه السلام: (وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران).

البشارة الثالثة: في سِفر التكوين (٤٩/ ١٠): (فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبِّر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم)، وقد اختلف علماء أهل الكتاب في ترجمة هذا اللفظ، وسبب حيرتهم هو التعصب الأعمى واتباع الهوى، ومن أنصف منهم علِم أن المراد بالذي تنتظره الأمم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أرسله الله للناس كافة، وغيره من الرسل كموسى كان يُبعث إلى قومه خاصة.

البشارة الرابعة: في إنجيل يوحنا (١٦/ ٧، ١٢، ١٣): (لكني أقول لكم: الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط، فأما إن انطلقت أرسلته إليكم. وإنَّ لي كلامًا كثيرًا أقوله لكم ولكنكم

لستم تطيقون حمله الآن. وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لأنه لا ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي)، والمراد بالفارقليط محمد عليه الصلاة والسلام، وقد أقر بذلك بعض علماء النصارى العارفين بالإنجيل.

البشارة الخامسة: في إنجيل يوحنا (١٦/ ١٢، ١٣): (إنَّ لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق).

فأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام مع وجود البشارة به في كتبهم هم في الحقيقة لا يؤمنون بكتبهم، بل يتبعون أهواء الضالين مِنْ قبلهم، الذين أضلوا من اتبعهم، قال الله تعالى: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧]. ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ يأمر الله بني إسرائيل أن يتذكروا ما أنعم عليهم من النعم الدينية والدنيوية، حتى يتركوا الكفر والظلم والمعاصي والإصرار على الباطل، فتذكرُ النِّعم يدعو الإنسان إلى شكر الله عليها، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة: ٢٠]، وقال سبحانه: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ} [الدخان: ٣٢، ٣٣]، وأمر الله بني إسرائيل أن يحذروا عذابه يوم القيامة الذي لا تقضي فيه نفسٌ عن نفسٍ ما وجب عليها من الحق لغيرها، ولا يُغني فيه أحدٌ عن أحدٍ شيئًا، ولا يُقبل من الناس الفداء، ولا تنفع الكافرين الشفاعة، ولا أحد يُنقذ أهل النار منها. ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ أي: اذكر حين اختبر اللهُ إبراهيمَ بأوامر فعمل بها، ولم يترك منها شيئًا، ومنها: الهجرةُ إلى الشام والختانُ عند الكِبر وإسكانُ ابنه إسماعيل في مكة والأمرُ بذبحه، ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ أي: يأتم بك الناس فيتبعونك على التوحيد، ويقتدون بك في العبادة والدعوة والصبر وحسن الأخلاق، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ أي: اجعل مِن ذريتي مَن يكون إمامًا يُقتدى به، والذرية الأولاد وأولاد الأولاد، وجميع الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته، ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ أي: لا ينالُ الإمامةَ في الدِّين مَن كان من الظالمين من ذرية إبراهيم وغيرهم. ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا﴾ أي: جعلنا الكعبة مرجعًا للناس يثوبون إليه أي: يرجعون إليه في حجهم وعمرتهم، ومن قصده تمنى العودة إليه، ويأمن مَن دخله، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ أي: موضعًا للصلاة، ويستحب لمن طاف بالكعبة أن يصلي ركعتين خلف المقام أو

قريبًا منه، ومقام إبراهيم الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يبني الكعبة حين ارتفع بناؤها، وفيه أثر قدمي إبراهيم، ﴿وَعَهِدْنَآ﴾ أي: أوصينا وأمرنا ﴿إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ العاكفين: المقيمين في المسجد الحرام، والاعتكاف اللبث في المسجد للصلاة وذكر الله. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ خص إبراهيم عليه الصلاة والسلام في دعائه بالرزق المؤمنين دون الكافرين، ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ بيَّن الله لإبراهيم أنه يرزق الكافر أيضًا في الدنيا، يمتعه قليلًا مدة عمره، ومعنى أضطَره: أُلجئه، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ المرجع. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ أي: واذكر حين كان يرفع إبراهيم وإسماعيل قواعد الكعبة، جمع قاعدة، وهي الأساس والأصل لما فوقها من البناء، كانا يبنيان جدران الكعبة فوق الأُسس، ويدعوان الله أن يتقبل منهما بناء الكعبة المشرَّفة. ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ الإسلام: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أمة: جماعة، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: بصِّرنا بمعالم الحج، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ كان إبراهيم وإسماعيل يتوسلان في دعاء الله بأسمائه الحسنى، ولم يتوسلا إليه بنبي أو بملَك أو بالكعبة، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام قدوة الصالحين، فمن توسل في دعائه بالمخلوقين فقد خالف سنة الأنبياء والصالحين الذين ذكر الله بعض أدعيتهم في القرآن، وفيها التوسل بأسماء الله الحسنى. ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ دعا إبراهيم وإسماعيل أن يبعث الله من ذريتهما نبيًّا يتلو على الناس آيات كتابه، ويعلمهم القرآن والسنة، واستجاب الله دعاءهما، وبعث من ذريتهما نبيه محمدًا عليه وعليهما الصلاة والسلام، ومعنى يُزكِّيهم: يُطهِّرهم من الشرك والمعاصي والأخلاق السيئة، والعزيز من أسماء الله الحسنى، الذي له معاني العزة كلها: عزة القوة، وعزة القدر والعظمة، وعزة القهر والغَلَبة، وعزة الامتناع، وعزة عدم النظير، فالله سبحانه عزيز بمعنى قوي، وعزيز بمعنى عظيم القدر، وعزيز بمعنى قاهر وغالب لكل شيء، وعزيز بمعنى أنه غني بذاته، لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يبلغ العبادُ ضرَّه ولا نفعه، فهو لعزته يمتنع أن يناله أحد بسوء، ولا يمنعه أحد عن فعل ما يشاء، وعزيز لا نظير له ولا مثيل. ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: مَنْ يُعرض عن دين إبراهيم، وهو التوحيد، دين جميع الأنبياء إلا السفيه الذي يجهل ما ينفعه، ويُهلِك نفسه بجهله وحمقه، ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ اخترناه للنبوة، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ أي: يكون في الجنة مع الأنبياء والصالحين، والصالح هو الذي يقوم بحقوق الله وحقوق عباده. ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أي: أخلص نفسك لله، فاعبدِ الله وحده، ولا تعبدْ غيره، وأطِعْه في أمره ونهيه ولا تتبع هواك، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ أي:

استسلمت لله بالتوحيد والطاعة. ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ الإسلام دين جميع الأنبياء، ووصى إبراهيم أبناءه بملة الإسلام وكلمة التوحيد، ووصى بها أيضًا يعقوب أبناءه، ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ أي: كلا من إبراهيم ويعقوب قال لأبنائه: إن الله اختار لكم دين الإسلام فتمسكوا به ولا تفارقوه حتى يأتيكم الموت وأنتم ثابتون عليه، وأبناء إبراهيم هم إسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب بن إسحاق، وفي التوراة أنه كان لإبراهيم أبناء آخرون من غير هاجر أم إسماعيل وسارة أم إسحاق، منهم مَدْيَن بن إبراهيم، والله أعلم، وأبناء يعقوب اثنا عشر، وهم يوسف وإخوته. ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ العرب تجعل الجد أبًا، وتُسمِّي العم أبًا والخالة أمًّا، فيعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وعمه إسماعيل بن إبراهيم. ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ﴾ أي: جماعة قد مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ﴾ أي: لها ما عملت ولكم ما عملتم، ولا ينفع الأحفادَ الانتسابُ إلى الأجداد الصالحين، ولا يضرهم إن كان أجدادهم فاسدين، ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٤﴾ الآية عامة في كل من مضى، فلا يُسأل عن أعمال السابقين مَنْ جاء بعدهم، وكل جيلٍ مسئولون عن عملِهم وعملِ مَن كان في زمنِهم دون مَن كان في غير زمنهم، والواجب على أهل كل عصر أن يتعاونوا على البر والتقوى، ويناصروا المظلومين، ويرحموا المساكين، ويتناصحوا فيما بينهم، ومن رأى منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ أي: قالت اليهود للمسلمين: كونوا يهودًا، وقالت النصارى للمسلمين: كونوا نصارى، ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ أي: بل نتبع دين إبراهيم، وهو التوحيد وطاعة الله، ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، مستقيمًا على طاعة الله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ لم يكن النبي إبراهيم مشركًا، بل كان مسلمًا، وجميع الأنبياء والصالحين من أممهم مسلمون، واليهودية والنصرانية بِدَعٌ مخالفةٌ لدين الأنبياء، قال الله تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: ٦٧]، فالإسلام دينُ جميعِ الأنبياءِ وأتباعِهم، قال الله تعالى حاكيًا عن نوحٍ أولَ الرسلِ أنه قال لقومه: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: ٧٢]، وقال يوسف عليه الصلاة والسلام في دعائه: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١]، {وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤]، وقال سبحانه: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٥٢]، وقال الله سبحانه: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} [الحج: ٧٨] أي: الله هو الذي سمَّاكم المسلمين من قبلِ القرآنِ في سائرِ

الكتب، وسمَّاكم المسلمين في هذا القرآن، وقال سبحانه: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩]، فدينُ الأنبياءِ واحد، متَّفقٌ في الأصول، وإن اختلف في بعض الشرائع، قال الله سبحانه: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]، فالدين واحد، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله سواه، وهو التوحيدُ والإخلاصُ لله، والشرائع مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يُحِلُّ الله في كتبه ما يشاء، ويُحرِّم ما يشاء، ابتلاءً للعباد، ليعلمَ من يطيعُه ممن يَعصيه، وقد حرَّف اليهود والنصارى دين الأنبياء، ولا يجوز اعتقادُ أنَّ دينَ اليهودِ والنصارى بعدَ التحريفِ والتبديلِ دينٌ سماوي من عند الله، قال الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧٨]، وكل من خالف الإسلام وأعرض عنه فإنه كافرٌ شقي، وإن لم يتبْ من كفره فهو خاسر من أهل النار، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)). ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ الأسباط جمع سِبط، وهم قوم ينتسبون إلى أب واحد، والأسباط في بني يعقوب (إسرائيل) كالقبائل في بني إسماعيل، وهم اثنا عشر سبطًا من اثني عشر ولدًا ليعقوب. ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ﴾ هذه الآية خطاب للصحابة رضي الله عنهم، فمن آمن كإيمان الصحابة اهتدى، ومن أعرض عن منهج الصحابة في الإيمان والعمل الصالح فهو في شقاق أي: مباينة ومخالفة وعداوة، والآية تعم كلَّ من كان في عصر نزول القرآن ومن جاء بعد ذلك إلى يوم القيامة، ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ أي: سيكفيك الله شر المخالفين الذين لم يؤمنوا الإيمان الصحيح كإيمان أصحابك، ومن صبر واتقى الله فإن الله يكفيه شر المخالفين لشريعته من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الملل وأهل البدع، كما قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١٢٠]، وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: ٣٨]، وهذه الآية فيها حث جميع الناس على الإيمان كإيمان الصحابة، والأمر باتباعهم في الإيمان والعمل الصالح، والتحذير من مخالفتهم في الدين، فاتباع منهجهم في العلم

الشرعي والعمل الصالح هدى، ومخالفتهم ضلالة، قال الله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥]، وقال عز وجل: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، ومن صفات المنافقين الاستهزاء بالصحابة ومن اتَّبعهم من علماء الأمة وصالحيها، وادعاء أنهم سفهاء كما قال الله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٣]، والدين بالاتباع، لا بالابتداع، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)) رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح. ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾ أي: الزموا دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها، سُمِّي الدينُ صبغةً لظهور أثره على المسلم من الطهارة والصلاة وذكر الله والأخلاق والآداب والخشوع وصلاح القلب والأعمال وسنن الفِطرة، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ موحدون أذلاء لله خاضعون لشريعته. ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩﴾ أي: قل لليهود والنصارى: أتجادلوننا في الله الذي نعبده وحده بشريعته ونحن له مخلصون في أعمالنا الظاهرة والباطنة؟! والإخلاص: تصفية العمل الصالح للخالق عن ملاحظة المخلوقين، وتخليصه من الشرك والرياء والسمعة، وإرادة التقرب به إلى الله وحده، وتمام الإخلاص بترك المعاصي. ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ الخطاب لجهلة اليهود والنصارى الذين يزعمون أن الأنبياء كانوا يهودًا أو نصارى، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾ هذا تعريض بعلماء اليهود والنصارى الذين يعلمون أن الأنبياء لم يكونوا على اليهودية ولا النصرانية، وإنما كانوا على دين الإسلام. ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾ هذه الآية مكررة للاهتمام بمعناها، ولتقرير ما تضمنته، فما تكرر تقرر ورسخ في القلوب. ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ السفهاء هم الجُهال الطائشون في أقوالهم وأفعالهم، الذين لا يتحرون الصواب فيما يقولون ويفعلون، وهم اليهود والمنافقون والمشركون، تساءلوا: ما صرف المسلمين عن قبلتهم الأولى؟ وأنكروا تحويل قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، والقِبلة الجهة، سُمِّيت قبلةً لأن المصلي يقابلها وتقابله، ولله جميع الجهات، يهدي من يشاء من عِباده إلى الطريق الصحيح، وهدى هذه الأمة إلى قبلة

النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكما هداهم إلى أفضل قبلة جعلهم خير الأمم. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ أي: عدلًا خيارًا، والاعتدال هو التوسط بلا إفراط ولا تفريط، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ هذه الأمة تشهد يوم القيامة أن الرسل بلغوا أممهم رسالة الله، والرسول محمد عليه الصلاة والسلام يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ما أمره الله بتبليغه، ولم يكتم شيئًا، ويشهد أن أمته آمنوا به وبجميع النبيين، ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ مكث النبي عليه الصلاة والسلام في مكة ثلاث عشرة سنة يستقبل في صلاته المسجد الأقصى (بيت المقدس)، ثم هاجر إلى المدينة النبوية وهو لا يزال يستقبل المسجد الأقصى في صلاته، وبعد سنة وأربعة أشهرٍ من الهجرة أمره الله أن يتوجه في صلاته إلى المسجد الحرام (الكعبة المشرفة)، وذلك في السنة الثانية من الهجرة، وكان ذلك اختبارًا من الله لعباده، وكان نسخ القبلة شاقًا على النفوس، وسببًا لردة بعضهم عن الإسلام، لكن الله يسَّر أمر تحويل القبلة على الصحابة رضي الله عنهم، وكان بعض الصحابة قد ماتوا قبل الأمر بتحويل القبلة، فأخبر الله أنه لن يضيع صلاتهم التي صلوها إلى جهة القبلة الأولى، فمعنى: {إيمانكم} أي: صلاتكم، فالصلاة من الإيمان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ الرءوف من أسماء الله الحسنى، يدل على صفة الرأفة، وهي أعلى معاني الرحمة، وهي رأفة عامة بجميع الخلق في الدنيا، ورأفة خاصة بعباد الله الصالحين. ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام يحب أن يتوجه في صلاته إلى المسجد الحرام، وكان يدعو الله وينظر في السماء منتظرًا نزول الوحي في شأن تحويل القبلة، فأنزل الله هذه الآيات يأمره فيها أن يستقبل في صلاته جهة الكعبة المشرفة التي يرضاها ويحبها محمد عليه الصلاة والسلام، ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ أمر الله المسلمين أينما كانوا أن يتوجهوا في صلاتهم إلى جهة الكعبة، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾ كان علماء أهل الكتاب يعلمون أن النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذي بنى الكعبة بأمر الله، ويعلمون أنها أقدم وأفضل من المسجد الأقصى، ويعلمون أنَّ أمرَ الله سبحانه نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام بالتوجه إلى الكعبة حق، وأنه واجب على المسلمين أن يعملوا بما أمرهم الله من التحول إلى استقبال الكعبة المشرفة، وكتم علماء أهل الكتاب ما يعلمون من الحق، واستنكروا ترك المسلمين استقبال المسجد الأقصى. ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾ أي: والله لئن جئت اليهود والنصارى بكل برهان وحجة على صحة توجهك إلى الكعبة بأمر الله سبحانه ما تبعوا

قبلتك، فهم متعصبون لقبلتهم ودينهم، لا يتركون قبلتهم التي نشأوا عليها ولو جاءتهم الأدلة الواضحة على نسخها ونسخ شريعتهم، وفي هذه الآية حث المسلمين على اتباع العلم الشرعي، والثبات على الحق الذي جاء من عند الله، والتحذير من اتباع أهواء أهل الكتاب، وأن من اتبع أهواءهم وخالف الوحي فهو من الظالمين لأنفسهم بمخالفة شرع الله، المعرِّضين أنفسهم لعذاب الله. ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ علماء اليهود والنصارى يعلمون أن محمدًا رسول الله، وأن القرآن حقٌّ من عند الله، وطائفة منهم يكتمون الحق عن أتباعهم، وهم يعلمون الحق ولا يبينونه، ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: الحق ما جاء من عند الله، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾ أي: الشاكين. ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي: لكل أمةٍ وشريعة قبلةٌ يستقبلونها في صلاتهم، فبادروا الطاعات بلا تأخر ولا تردد، ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ أينما يكون الناس بعد موتهم وتفرق أجسادهم يحشرهم الله جميعًا يوم القيامة بقدرته، ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: من أي موضع خرجت إليه في سفر وغيره فاستقبل جهة الكعبة في صلاتك، وإنَّ استقبال جهة الكعبة في الصلاة هو الحق من الله، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ أكَّد الله سبحانه الأمر باستقبال المسجد الحرام مرة بعد مرة لتأكيده، فقد كان شاقًا على النفوس، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ أي: حوَّلنا القبلة إلى الكعبة لئلا يحتج اليهود عليكم بأن استقبالكم قبلتهم يوجب عليكم أن تتبعوا دينهم، ولئلا يحتج مشركو العرب عليكم بأنكم تُعظِّمون النبي إبراهيم ومع ذلك تتركون استقبال الكعبة التي بناها، إلا الظالمين من اليهود ومشركي العرب المجادلين الذين يزعمون أن المسلمين سيرجعون من دين التوحيد إلى دين الشرك كما رجعوا عن القبلة الأولى، فلا تخشوا الظلمة المتعنتين، ولا حججهم الباطلة، واخشوا الله وحده، ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾ فالله شرع للمسلمين استقبال الكعبة في صلاتهم ليتم عليهم النعمة باكتمال الشريعة، ولعلهم يهتدون بامتثال أوامر الله مهما كانت شاقة على النفوس، فيزيدهم الله هدى، ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: كما أتممنا عليكم النعمة باستقبال الكعبة أرسلنا فيكم رسولًا مِنَ العرب، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، يتلو عليكم آيات القرآن، ويُطهركم من الشرك والمعاصي والأخلاق السيئة، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: القرآن والسُّنة، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ مما علَّم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من أسماء الله الحسنى وصفاته، وشرائع دينه، وأخبار الأمم الماضية، وعلامات الساعة، وما يكون في الآخرة، وغير ذلك، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ أي: فاذكروني بألسنتكم وطاعتكم على ما أنعمت عليكم من نعم دينية ودنيوية أذكركم

عند الملائكة، وأذكركم بالخير والرحمة في الدنيا، والثواب والمغفرة في الآخرة، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ))، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ أي: اشكروني بإخلاص على النعم الدينية والدنيوية، الظاهرة والباطنة، الخاصة والعامة، ولا تكفروني بجحود إفرادي بالعبادة أو بإنكار شيء من النعم الدينية أو الدنيوية أو باستعمال النعم في المعاصي، فهما طريقان: طريق الشكر لله، وطريق الكفر، كما قال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ بالنصر والإعانة والتوفيق، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾ الشهداء أحياء في الجنة، كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ))، وحياة الشهداء في البرزخ حياة خاصة ليست كالحياة في الدنيا. ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ أي: ولنختبرنَّكم بشيءٍ قليلٍ أو كثيرٍ مِنَ الخوف مِن أعدائكم ومن الأمراض والمصائب، ﴿وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ﴾ الجوعُ بسبب الفقر والغلاء، ونقصُ الأموال بضياعها وسرقتها وخسارة التجارة وموت الأنعام، ونقصُ الأنفس هو موت الأقارب والأصحاب، ونقصُ الثمرات بسبب الآفات التي تقع في الزروع والأشجار، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ بشرهم بالخير العظيم في الدنيا والآخرة، فمن صبر ظفر، والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة للصابرين. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ المصيبة الأمر المكروه الذي يقع بالإنسان، ويستحب عند المصيبة أن يقول المسلم هذه الكلمة، ومعناها: إنا جميعًا مِلكٌ لله وعبيدُه، يتصرف فينا كما يشاء، ويبتلينا بما شاء وكيفما شاء من البلاء القليل أو الكثير، وإنا إليه راجعون بعد موتنا، وسيحشرنا يوم القيامة للحساب والجزاء، فلن يبقى أحدٌ منا في الدنيا الفانية، ولا بد من المستقر في الجنة أو النار في الآخرة الباقية. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: ثناءٌ من الله عليهم عند ملائكته، وعليهم رحمة بعد رحمة في الدنيا، ﴿وَرَحۡمَةٞۖ﴾ أي: ورحمةٌ عظيمة في الآخرة، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ ، فالصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى بلائه، من صفات المهتدين. ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ الصفا والمروة الصفا والمروة جبلان معروفان بمكة، ومع توسعة المسجد الحرام صارا متصلين بالمسجد الحرام، فالصفا جبلٌ صغيرٌ لم يبق منه إلا جزء قليل يبدأ منه السعي، والمروة مكان مرتفع كان متصلًا بجبلٍ لم يبق منه شيء، ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ ما جعله الله عَلَمًا لطاعته، ﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ﴾ حجَّ البيت قصدَه، والمراد بالبيت الكعبة المشرفة، واعتمر أي: زار البيت، والمعتمر

الزائر، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أي: فلا إثم على من يسعى بين الصفا والمروة، وسبب نزول هذه الآية أن العرب كانوا في الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، فظن بعض الصحابة أن السعي بينهما من أعمال الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية، وبيَّن أن السعي بين الصفا والمروة من عبادة الله، ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ الشاكر من أسماء الله الحسنى، ومعناه: أنه لا يضيع عمل العابد، بل يضاعِف أجره ولو كان عملًا قليلًا، ويثيب عليه الثواب الكثير. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ هذه الآية نزلت في علماء اليهود والنصارى الذين يخفون ما في كتبهم من الحق، وهي تعم كل من كتم الحق من علماء هذه الأمة، مثل الذين يُجيزون للناس دعاء غير الله من الأنبياء والصالحين والقبور، ولا يبينون لهم أن الدعاء عبادة لا يستحقها إلا الله وحده، كما قال الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨]، وقال سبحانه: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ} [يونس: ١٠٦]، وقال تبارك وتعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف: ٥]، واللعنة الطرد والإبعاد من رحمة الله، واللاعنون هم المؤمنون والملائكة، والفعل المضارع يفيد التجدد، فهم يكتمون الحق باستمرار، ويتجدد منهم ذلك، والله يلعنهم لعنة بعد لعنة، ويتجدد لعنهم من الله ومن اللاعنين، فالعلماء الذين يكتمون الحق الذي بينه الله للناس في كتابه لهداية الناس، وأخفوه طلبًا لمصالح دنيوية تحصل لهم ببقاء الناس في ضلالتهم؛ عليهم لعنة الله سبحانه، ويستحقون أن يطلب المؤمنون والملائكة من الله أن يلعنهم لعِظَمِ جُرمِهِم، وكثرةِ ضررهِم، وضلال الناس بسببهم، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ فمن تاب من كتمان الحق، وبين للناس معاني آيات القرآن الكريم ليهتدوا بها، وأصلح ما أفسد بقدر استطاعته، فالله يتوب عليه. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ جميع الناس يلعنون الكفار الذين ماتوا على كفرهم، فالمؤمنون يلعنونهم في الدنيا، والكفار يلعن بعضهم بعضًا في الآخرة، كما قال الله سبحانه: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [العنكبوت: ٢٥]، وقال عز وجل: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب: ٦٦ – ٦٨]، وقال تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الأعراف: ٣٨]، وفي هذه الآية ردٌّ على الذين يزعمون أن اليهود والنصارى ليسوا كفارًا، أو أنهم من أهل الجنة مع تركهم الإيمان بالنبي محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن الكريم، بل هم كفرة ملعونون بنص كتاب

الله، قال الله سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٦]، وقال سبحانه عن اليهود: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة: ٧٨]، وقال سبحانه عن النصارى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٢، ٧٣]. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ أي: هم خالدون في لعنة الله وفي نار جهنم، مطرودون من رحمته، يُعذَّبون أبدًا في نار جهنم بلا تخفيف ولا استراحة، ولا يؤخَّر عنهم عذاب جهنم بعد أن يأتيهم، ولا يُمهلون ليعتذروا، كما قال تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [الأنبياء: ٣٩، ٤٠]. ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ١٦٣﴾ أي: إلهكم بحقٍّ إلهٌ واحد، لا معبودَ بحقٍّ إلا الله وحده. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ إن في هذه المخلوقات والنعم العظيمة لدلائلَ واضحةً على توحيد الله سبحانه، ووجوب إفراده بالعبادة وحده، ووجوب شكره على إحسانه، ووجوب الثناء عليه على عظيم صفاته وأفعاله، واختلافُ الليل والنهار هو تعاقبهما، يخلف أحدهما الآخر كل يوم، ويختلفان في الضياء والظلمة، والحرارة والبرودة، ويختلفان في الطول والقِصَر باختلاف فصول السنة، والفُلْكُ هي السفينة والسفن، تطلق على المفرد والجمع، وينتفع الناس بها في نقل البضائع وصيد الأسماك والسفر وغير ذلك من المنافع، والمطر ينزله الله من السحاب فيحيي بسببه الأرض بعد جفافها، فينبت العشب والزروع والأشجار، وتخرج الثمار، {وبَثَّ فِيهَا} أي: فرَّق ونشر في الأرض جميع الدواب المختلفة الأنواع والأحجام والألوان، والدَّابة: كل ما يدب على الأرض، {وتَصريفِ الرِّياحِ} تحويلِها من جهةٍ إلى جهة بقدرة الله، ومجيئها متنوعةً بالرحمة أو بالعذاب أو لتلقيح الأشجار، والسحاب المذلَّل بين السماء والأرض، يسوقه الله إلى حيث يشاء، ففي هذه الأمور دلالات على وحدانية الله سبحانه لمن ينظر إليها ببصره ويتفكر فيها بعقله. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ يجعلونهم نظراء لله سبحانه وشركاء له في العبادة والتعظيم والمحبة، يحبونهم كما يحبون الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ

حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ والمؤمنون أشد حبًا لله من محبة المشركين لآلهتهم، ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾ يعني: حين يرى الظالمون العذاب يوم القيامة يعلمون أن القوة كلَّها لله وحده، ويعلمون شدة عذابه. ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ يعني: يوم القيامة يتبرأ الرؤساء المتبوعون ممن اتبعهم على الكفر والضلال، وتتباعد الصِّلات من الصُّحبة والمحبة والقرابة والعهود بالنصرة، فكل الوسائل التي كانت بينهم في الدنيا تنقطع، ويكونون جميعًا في النار. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ كرة: أي رجعة إلى الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: ندامات، والحسرة الندامة والاغتمام على ما فات، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ أباح الله للناس جميعًا مسلمهم وكافرهم أن يأكلوا مما في الأرض من الحيوانات والطيور والنباتات والثمار بشرط أن يكون حلالًا من كسب مباح لا محرم كالسرقة والغصب، طيبًا لم يحرمه الله لخبثه وضرره كالميتة والخنزير، فالمحرَّم نوعان: محرَّمٌ لذاته، وهو الخبيث ضد الطيب، ومحرَّمٌ لما عرض له، وهو ضد الحلال، وقيل: ذكر الله كلمة {حَلالًا} لبيان الحكم الشرعي، وذكر {طَيِّبًا} لبيان علَّة حِلِّه، وهو كونه مستطابًا للنفوس السَّوية، ويؤخذ من هذه الآية أن الأصل في المطعومات والمشروبات الإباحة ما لم يرد دليلٌ يقتضي التحريم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ أي: وساوسه وشبهاته وأعماله التي يأمر بها ويزينها، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ الشيطان يأمر الناس بالأعمال السيئة التي تسوء فاعلَها، وتسوء عاقبتُها لضررها وشرِّها، ويأمرهم بما عظُم قبحه من الذنوب كالزنا، ويأمرهم أن يكذبوا على الله وشرعه، ويحللوا الحرام، ويحرموا الحلال. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ أي: ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الدِّين، ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾ في هذه الآية ذم التقليد الأعمى المخالف للهدى، ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾ أي: صفة الكفار عند دعوتهم إلى الإيمان كمثَل راعي الغنم الذي يصيح بها فتسمع صوته، ولا تفهم ما يقول لها، والدعاء يكون للقريب، والنداء للبعيد، ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ الكفار لا ينتفعون بأسماعهم إذا سمعوا القرآن والعلم والمواعظ، ولا يتكلمون بالحق، ولا يبصرون دلائل الحق، فهم لا يفهمون الحق وينكرونه، ويقبلون الباطل ويتبعونه، ونفى الله عنهم العقل في أمور الدِّين والآخرة، وإن كانوا يعقلون أمور الدنيا الفانية. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ أمر الله المؤمنين بالأكل من الطيبات دون الخبائث، وأن يشكروا لله مخلصين على نعمة الرزق وغيرها من النعم الدنيوية والدينية، والشكر يكون بالقلب واللسان والأعمال الصالحة. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ حرَّم الله على المؤمنين الميتة

التي ماتت بغير ذبح، والدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذُكِر عند ذبحه اسمُ غيرِ الله، كالذي يذبح للأصنام والقبور والجن، ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ اضطر ألجىء، فالضرورات تبيح المحظورات، والضرورة تقدر بقدرها بلا زيادة، فمن كان مضطرًا للأكل من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذُبح لغير الله فلا حرج عليه، بشرط أن لا يكون راغبًا لتناولها وهو يجد غيرها، ولا متجاوزًا قدر الضرورة في أكلها. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ يأخذون مقابل إخفاء الحق قليلًا من متاع الدنيا الفانية، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لا يكلمهم الله كلام خير ورحمة، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ أي: لا يُطَهِّرهم الله في الدنيا من الذنوب والأخلاق السيئة، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ أي: في الآخرة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾ الذين يكتمون الحق استبدلوا الضلالة بالهدى، وقدَّموا العذاب على المغفرة، فتعجب اللهُ من أعمالهم السيئة التي نهايتها نار جهنم التي لا يستطيع أحدٌ الصبر على عذابها لحظة! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ ذلك العذاب الواقع على من يكتمون الحق بسبب أن الله نزَّل الوحي بالحق ليبينه العلماء للناس لا ليكتموه عن الناس، وإن الذين اختلفوا في كتاب الله فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه في اختلاف ومخالفة للحق وابتعاد عن طريق الصواب. ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ البِر هو التوسع في الطاعات بصدق وإخلاص، ومعنى الآية: ليس البِر في لزوم التوجه في الصلاة إلى أي جهة، ولكن البِر بِرُّ من آمن بالله وآمن بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء وآمن بالملائكة وجميع الكتب التي نزلها الله على رسله وآمن بجميع الأنبياء، وأعطى ماله وهو يحبه أقاربه واليتامى والمساكين والمسافرين المحتاجين والسائلين الصدقات، وأعتق العبيد وحرر الأسرى بماله، وأقام الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، وأعطى الزكاة الواجبة في ماله مستحقيها، والذين يلتزمون بعهدهم مع الله كالنذر وغيره، وبعهدهم مع الناس كعقود العمل والإجارة ونحوها، وأمدح الصابرين في حال فقرهم ومرضهم، وفي حال اشتداد القتال في الجهاد، المتصفون بهذه الصفات هم الصادقون في إيمانهم، وهم المتقون الذين قاموا بما يجب عليهم، وتركوا ما يحرم عليهم، وفي هذه الآية دليل على أنه يجب في مال الأغنياء حقٌّ سوى الزكاة المقدَّرة، فقد أثنى الله عليهم في أول الآية بإعطاء الصدقات التي لا تقدير فيها، ثم أخبر عنهم بإيتاء الزكاة المقدَّرة، وقال سبحانه في وصف المتقين: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [البقرة: ٣]، والفعل المضارع يدل على التكرار

والمداومة والتجدد، وفي الصحيحين عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ!))، قلت: مَن هم يا رسول الله؟! قال: ((هُمُ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ))، فمن الخطأ أن يظن الغني أنه إذا أخرج زكاة أمواله مرة في السنة فقد برئت ذمَّته من كل حقٍّ مالي، ولم يَعُدْ مطالبًا بإخراج الصدقات، ولا التعاون على البر والتقوى. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾ أي: فُرِض ﴿ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾ القصاص الأخذ من الجاني مثل ما جنى، وقتل القاتل بالقتيل، ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ أي: يُقتل الجاني الحر قصاصًا بالحر الذي قتله، ويُقتل الجاني العبد قصاصًا بالعبد الذي قتله، وتُقتل الجانية الأنثى قصاصًا بالأنثى التي قتلتها، فلا يُقتل غير القاتل، ولا يُقتل اثنان مقابل واحد، ولا يُقتل حرٌّ بريء مقابل عبدٍ مقتول، ولا يُقتل حرٌّ بريء مقابل أنثى مقتولة، كما كان يصنع أهل الجاهلية، ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ أي: إذا عفا أولياء المقتول عن القاتل فتركوا المطالبة بالقصاص، وطلبوا من القاتل دفع الدية، فالواجب على أولياء المقتول أن يطلبوا الدية بالمعروف شرعًا بلا عنف ولا تعنت، وعلى القاتل أن يدفع إليهم الدية بإحسان بلا مماطلة، ولا نقص، ولا إساءة بقول أو فعل، وهذه الآية تدل على أن قتل العمد كبيرةٌ من الكبائر، فلا يكفر القاتل إذا لم يستحل قتل أخيه المؤمن، فقد أثبت الله بقاء الإخوة بينهم مع حصول القتل، وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ٩، ١٠]، فقد يحصل قتالٌ وقتلٌ وبغيٌ بين المؤمنين، ومع ذلك سماهم الله جميعًا مؤمنين وإخوة، وأمر بالإصلاح بينهم، ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ أي: إباحة العفو عن القاتل وأخذ الدية بدل القصاص تخفيف من الله لهذه الأمة، ورحمة منه بعباده، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ أي: فمن اعتدى بعد العفو فله عذاب أليمٌ، سواء كان المعتدي أحد أولياء المقتول بأن يقتل القاتل بعد العفو عنه وأخذ الدية منه أو يضربه ويؤذيه، أو كان المعتدي القاتل بأن يعتدي على أولياء المقتول بالقتل أو الضرب والإيذاء. ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ أي: لكم في مشروعية القصاص حياة عظيمة، فينزجر من يريد قتل غيره إذا علم أنه سيُقتل قصاصًا، وفي ذلك حياة له ولمن كان يريد أن يقتله، فالعمل بالقصاص الذي شرعه الله في النفوس والجروح سببٌ عظيم لتحقيق الأمن بين الناس، ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ يعني: يا أصحاب العقول. ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ أي: فرض الله على من حضره الموت بعلاماته

ومقدماته إن ترك مالًا كثيرًا أن يوصي لوالديه وأقاربه الذين لا يرثونه بالمعروف شرعًا، بلا قصد حرمان الورثة، ولا اقتصار على الأبعد دون الأقرب لغير حاجة، وبينت السنة النبوية أن الوصية تكون في حدود ثلث المال وأقل، ولا تجوز الزيادة على الثلث إلا إذا رضي الورثة، وهذه الآية منسوخة عند جمهور المفسرين، فكانت الوصية واجبة ثم نُسِخت بآية المواريث، وبقي استحباب الوصية للوالدين إذا كانا كافِرَين لا يرثان ولدهما المسلم، فيوصي لهما ولدهما، وتُستحب الوصية أيضًا للأقارب المحتاجين الذين لا يرثون الميت إن كان ماله كثيرًا، وأما الأقارب الوارثون فلا تصح الوصية لهم، فقد أعطاهم الله حقهم في آيات المواريث، قال الله تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا} [النساء: ٧]، وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ)) رواه أبو داود وحسنه الترمذي. ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ﴾ أي: فمن بدَّل كلام الموصي بالزيادة أو النقص أو التغيير بعدما سمعه من الموصي فالإثم على الذين يبدلونه، سواء كان المغيِّر للوصية واحد أو أكثر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ أي: فمَن خاف من الموصي ميلًا عن الحق على سبيل الخطأ بلا تعمد أو مع تعمد الإثم بمخالفة المشروع في الوصية كأن يضار الورثة بالوصية مع قلة ماله أو يوصي بأكثر من ثلث ماله؛ فلا إثم على مَن بدَّل الوصية الخاطئة إلى الصواب للإصلاح بين الموصي والورثة، سواء كان تبديل الوصية إلى الصواب في حياة الموصي أو بعد موته. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ أي: فرَضَ الله على المؤمنين والمؤمنات الصيام كما فرضه على الأمم السابقة، والمقصود من الصيام تحقيقُ التقوى، وتقوى الله هي: امتثالُ الواجبات، واجتنابُ المحرمات، والتوبةُ من السيئات، وبالتقوى يكون المسلم شاكرًا لله على نعمه الدينية والدنيوية، الظاهرة والباطنة، فلا يعصي الله بما أنعم عليه، بل يعبدُ الله شكرًا على نعمه، قال الله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: ١٢٣]، والمراد من الصيام أن يكون الصائم من المتقين، وأن يكون من الشاكرين، قال الله تعالى: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥]. ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ شهر رمضان ثلاثون أو تسعة وعشرون يومًا سرعان ما تنقضي، فعلى المسلم أن يغتنمها في طاعة الله، وهكذا عمره أيامٌ معدودات، والموفق من اغتنم عمره في الطاعات قبل موته. ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ أي: من كان في شهر رمضان مريضًا مرضًا يُرجى بُرؤه فليُفطر ثم يَقضي الأيام التي أفطرها، وكذلك المسافر إن أفطر في سفره فعليه أن يَقضي ما أفطره من الأيام، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ كان في أول

الإسلام الصيام بالخيار، فمَن كان يستطيع الصيام إما أن يصوم وإما أن يُفطر ويُطعم عن كل يوم أفطره مسكينًا، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ أي: من كان يستطيع الصيام فأفطر وأطعم أكثر من مسكين عن كل يوم أفطره فهو خير له، ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ أي: الصيام للمستطيع خير من الفِطر والإطعام، ثم نسخ الله هذا الحكم في الآية التي تليها، وأوجب الصيام على الذين يطيقون الصيام، وبقي حكمُ هذه الآية للعاجز عن الصيام لِكَبِرِ سِنٍّ أو مرضٍ لا يُرجى بُرؤه، فهم الذين يُفطرون ويُطعمون عن كل يوم مسكينًا. ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: شهر رمضان أُنزِلَ فيه القرآنُ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وابتُدِئَ إنزالُه على النبي عليه الصلاة والسلام في ليلة القدر وهو في غار حراء، فرمضان هو شهر القرآن، ويُستحب الإكثارُ فيه جدًا من تلاوة القرآن ومدارسته، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: القرآن هدى للناس من كل ضلالة، وآياته تبين الهدى في كل الأمور، والقرآن يفرق بين الحق والباطل، ففيه الرد على كل باطلٍ، وهو العلم لمن أراد العلم، والموعظة لمن أراد الموعظة، والتذكرة لمن أراد تذكُّرَ ما ينفعُه في دينِه ودنياه، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: من كان صحيحًا مقيمًا في شهر رمضان فيجب عليه الصيام، وهذه الآية نسخت التخييرَ المذكور في الآية السابقة، ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أعاد الله هذا الحكم حتى لا يُظن أنه منسوخ كما نُسِخ التخيير في الآية السابقة، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ أي: يريد الله بعباده اليُسر في دينهم ودنياهم، فأباح للمريض والمسافر الفطر في رمضان، وجعل شريعته سمحة لا حرج فيها، فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، والمشقة تجلب التيسير، ومراعاة الحاجة لها أثر في الأحكام الشرعية، ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: يريد الله أن تكملوا عدد أيام شهر رمضان كاملًا بالصيام حتى تروا الهلال، ومن أفطر بسبب المرض أو السفر قضى الأيام التي أفطرها حتى يكمل شهر الصيام كاملًا بلا نقصان، ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ أي: يريد الله منكم بعد انقضاء شهر رمضان أن تُكبِّروه بسبب ما أنعم عليكم في شهر رمضان من نِعَمٍ كثيرة في دينكم ودنياكم، وأعظمها نعمة الهداية للإسلام والصيام والصلاة والقرآن، ويُشرع التكبير من ليلة عيد الفطر إلى أن يصلي المسلمون صلاة العيد، فيكبرون الله بألسنتهم، ويعظمون الله في قلوبهم، ويعظمون أمره ونهيه في رمضان وبعد رمضان، لعلهم يكونون من الشاكرين الله على نعمه الدينية والدنيوية. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ من أسماء الله الحسنى القريب، فهو قريب من عباده بعلمه وقدرته، وهو مع قربه في السماء مستوٍ على عرشه لا يخفى عليه شيءٌ من خلقه، أمر عباده بدعائه وحده، ووعدهم بإجابة دعائهم إذا أخلصوا له،

وأمرهم أن يستجيبوا له بطاعته في أمره ونهيه، وأن يؤمنوا به ربًا ومعبودًا واحدًا لا شريك له لعلهم يهتدون إلى الصواب في أمور دينهم ودنياهم. ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ حين شُرِعَ الصيام في أول الإسلام كان لا يجوز للصائم إذا نام في الليل أن يأكل شيئًا إلى اليوم الثاني، وكان لا يجوز للرجل معاشرةُ امرأتِهِ في ليالي الصيام، ثم رخص الله للمسلمين أن يأكلوا في ليالي الصوم إلى طلوع الفجر، وأحل لهم ما كان محرمًا عليهم من جماع نسائهم في ليالي الصيام، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي: كِلا الزوجين سِترٌ للآخر كاللباس الذي يستر العورة ويحفظها، ويزين الإنسان وينتفع به، فمصالحُ الزواج عظيمة؛ ولذا يُشرع الحث على الزواج وتيسيره، وحلُ مشاكل الأزواج، والإصلاح بينهم، ومسامحةُ كلٍّ من الزوجين الآخر على تقصيره، فكل من الزوجين لباس للآخر، وبقاءُ الإنسان بلباسٍ فيه عيوبٌ يسيرة خيرٌ من بقائه عاريًا، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: علم الله أن بعض الصحابة جامعوا زوجاتهم في ليالي الصيام، فتاب الله عليهم فلم يؤاخذهم بهذه المعصية والخيانة التي ظلموا أنفسهم بها، وترك إلزامهم بهذا الحكم الشديد، فأباح للمسلمين مباشرة زوجاتهم بالجماع في ليالي الصيام، وصار الحكم الأول منسوخًا، والمباشرة هي الجماع، سمي بذلك لمسِّ البَشرة البشرة، والبشرة ظاهر الجلد، ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أمر الله المسلمين أن يطلبوا ما كتب الله لهم من خير الدنيا والآخرة بفعل الأسباب، فيطلبون بالجماع قضاءَ الشهوةِ والذرية الصالحة، ويطلبون بقيام ليالي رمضان الأجر وليلة القدر، ويطلبون بالطعام والشراب صحة الأجسام والقوة على العبادة وعمل الخير الديني والدنيوي، ويطلبون بالسعي في الكسب الرزق الحلال، ويطلبون بالتداوي الشفاء من الأمراض، وهكذا يطلبون النصر والتمكين بالأسباب الحسية والمعنوية، لا بالتواكل أو انتظار المهدي، فأمرنا الله بطلب ما كتبه الله لنا شرعًا أو قَدَرًا، فلا بد من فعل الأسباب المباحة التي يسرها الله لعباده لتحقيق المصالح الدينية والدنيوية، الخاصة والعامة، فما أعظمها من وصية! ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: وكلوا واشربوا في ليالي الصيام حتى يتبين لكم – أيها الصائمون – طلوعُ الفجرِ الصادق ببياض الفجر وانفصاله عن سواد الليل، فالخيط الأبيض بياض النهار، والخيط الأسود سواد الليل، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: ثم أكملوا الصيامَ بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق حتى غروب الشمس، وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا – وأشار بيده إلى المشرق –، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا – وأشار بيده إلى المغرب –، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ؛ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ))، ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ المعتكف في المسجد إذا ذهب إلى بيته لحاجة لا يجوز له أن يجامع زوجته،

فهو في حكم المعتكف إن خرج من المسجد لحاجة، وجماع الزوجة يُبطل الاعتكاف، ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: تلك الأحكامُ المذكورةُ في آيات الصيام هي ما حرمه الله وبيَّنه لعباده كالأكل والشرب والجماع في نهار رمضان، والجماع حال الاعتكاف، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ أي: مثل هذا البيان الواضح الجلي لأحكام الصيام يبين الله آياتِه للناس لعلهم يتقونه بفعل أوامره وترك نواهيه. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني بالظلم والسرقة والخداع والغش والخيانة والكذب والربا والرشوة وغير ذلك ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ أي: لا تتوصلوا بدفع الرشوة للقضاة ونحوهم إلى أخذ ما لا يحل لكم، وتخاصموا الناس بالحجج الباطلة لتأكلوا بعض أموالهم بغير حق وأنتم تعلمون أنكم ظالمون لهم. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ الأهلة جمع هلال، والهلال يكون في أول ليلة من الشهر إلى الليلة الثالثة، ثم يسمى القمر، ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ والمواقيت جمع ميقات، فالله جعل هيئة القمر تتغير كل شهر ليعرف الناس بداية الشهور وعِدة النساء والإجارة والعقود وعدد السنين وأوقات الحج، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ كان الأنصار في الجاهلية إذا رجعوا من الحج أو العمرة لا يدخلون بيوتهم من أبوابها، ولكن يدخلون من ظهور البيوت، من السطح أو من نافذة خلف البيت، ويعتقدون أن ذلك من الطاعة وتمام الحج، فأنزل الله هذه الآية، وبين أن الطاعة في تقوى الله بامتثال شريعته، وأمرهم أن يدخلوا البيوت من أبوابها، ويؤخذ من الآية مشروعيةُ تركِ البدعِ والخرافات، وتحصيلُ الأمورِ بطرقها المعروفة شرعًا وعُرفًا. ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ أي: قاتلوا مخلصين لأجل الله ودينه، ونصرة عباده المستضعفين، ويكون قتالكم للذين يقاتلونكم دون من لا يقاتلكم من النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والرهبان ونحوهم، ولا تجاوزوا الحد المباح في الجهاد فتقعوا في الغدر والخيانة والغلول والتمثيل بجثث الأعداء أو الاعتداء على من لم يقاتلكم بالقتل أو الضرب أو الحبس أو الشتم، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أي: واقتلوا كفار قريش في أي مكان وجدتموهم فيه، وتمكنتم من قتلهم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي: وأخرجوا كفار قريش من مكة التي أخرجوكم منها، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أي: الفتنة في الدين بالشرك بالله والكفر، وصد الناس عن الدخول في دين الله والاستقامة عليه أعظم ضررًا من القتل الذي يقع في المسلمين والكافرين بسبب الجهاد، فيُقدَّم دفع المفسدة في الدين على دفع المفسدة في الدنيا، وتُرتكب أخف المفسدتين لدفع أشدهما، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ المسجد الحرام يحرم فيه القتال، فنهى الله الصحابة عن قتال كفار قريش عند المسجد الحرام حتى يبدأوهم بالقتال فيه، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ

﴿ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢﴾ أي: فإن ترك كفار مكة قتال المسلمين وأسلموا فإن الله غفور رحيم، يقبل توبتهم ويرحمهم، والغفور من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الساتر على التائبين ذنوبهم، فيمحوها عنهم كأنهم لم يعملوها. ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ أي: وقاتلوا كفار مكة حتى لا تكون فتنة بسبب الشرك والمشركين، وتكون العبادة والطاعة لله وحده، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ أي: فإن ترك كفار مكة الشرك وأسلموا فلا يجوز الاعتداء على البريء، ولا يكون التعدي بالقتل والضرب والحبس والشتم إلا على الظالمين المستحقين للعقوبة، وسميت عقوبتهم عدوانًا من باب المقابلة لفعلهم. ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الأشهر الحرم هي ذو القَعدة وذو الحِجة ومحرَّم ورجب، يحرم فيها ابتداء القتال، فإن قاتل الكفار المسلمين فيها فليقاتلوهم فيها، ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ القصاص مقابلة الفعل بمثله، والمعنى: من انتهك تعظيم الشهر الحرام أو المسجد الحرام فإنه يُقتص منه ويُعاقب بما يستحقه ولو كانت العقوبة في الشهر الحرام والمسجد الحرام، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يُقتص من المعتدي بالعدل بمثل عدوانه بلا زيادة في عقوبته، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ الله مع المتقين بالنصر والمعونة، فمن أسباب النصر: تقوى الله. ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ روى الترمذي وصححه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (أُنزِلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله هذه الآية يرد علينا ما قلنا، فكانت التهلُكَةُ الإقامةَ على الأموال وإصلاحَها، وتركَ الجهاد)، فترك الجهاد وترك النفقة في الإعداد للجهاد مفسدة عظيمة، وهلاك للأمة، فيتسلط الكفار والمنافقون على المسلمين، ويَفتنونهم في دينهم، ويُفسدون دنياهم، ويتحكمون في أمورهم وثرواتهم، ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ أمر الله عباده بالإحسان في عبادته، والإحسان في معاملة عباده، بالصدقات وأنواع المعروف ولو بالكلمة الطيبة وحسن الأخلاق. ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: بإخلاص بلا رياء ولا سمعة، فمن شرع في الحج والعمرة فيجب عليه إتمامهما وإن كانا تطوعًا، ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ أي: إن مُنعتم من إتمام الحج والعمرة بسبب مرض أو عدو أو غير ذلك فاذبحوا ما تيسر من الأنعام للمساكين، والهدي ما يُهدى إلى البيت الحرام من الإبل والبقر والغنم، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ يعني: لا تتحلوا من الإحرام بحلق رؤوسكم حتى يبلغ الهدي الموضع الذي يحل فيه نحره، وهو في حق المحصَر المكان الذي عجز فيه عن إتمام الحج والعمرة، وفي حق غير المحصَر الحرم كله، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ أي: فمن احتاج لحلق رأسه وهو محرم بسبب مرض أو قملٍ يؤذيه في رأسه ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ فدية من انتهك بعض

محظورات الإحرام لحاجة: صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، أو ذبح شاة، هذه الفدية بالتخيير، وجاء بيانها في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه في الصحيحين، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ يُخيَّر من يريد الإحرام بالحج بين ثلاثة أنواع هي: التمتع، والإفراد، والقِران، فالتمتع: أن يُحرِم بالعمرة وحدها في أشهر الحج، فإذا وصل مكة طاف وسعى للعمرة وحلق شعر رأسه أو قصَّره، فإذا كان يوم الثامن من شهر ذي الحجة أحرم بالحج وحده، وأتى بجميع أفعاله، وعليه ذبح هدي، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله. والإفراد: أن يُحرِم بالحج وحده، فإذا وصل مكة طاف للقدوم ثم سعى للحج، ولا يحلق ولا يُقصِّر، ويبقى محرِمًا حتى يَحِلَّ بعد رمي جمرة العقبة يوم العيد، والقِران: أن يُحرِم بالعمرة والحج جميعًا، وعمل القارن كعمل المفرِد سواء، إلا أن القارِن عليه ذبح هدي، والمفرِد لا هدي عليه، وللمفرِد أن يعتمر بعد الحج إن شاء، والهدي الواجب على المتمتع والقارن شاةٌ تجزئ في الأضحية أو سُبُع بعيرٍ أو سُبُع بقرة، فإن لم يجد فصيام ثلاثةِ أيامٍ في الحج، وسبعةٍ إذا رجع إلى أهله، ويجوز أن يصومها متتابعة أو متفرقة، ويبدأ بصيام الأيام الثلاثة بعد الإحرام بالعُمرة أو بعد الانتهاء من العمرة إن كان متمتعًا، ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾ لا يجب الهدي على المتمتع والقارن إذا كانا من ساكني المسجد الحرام، فأهل مكة ومن استوطنها من غير أهلها إن حجوا متمتعين أو قارنين لا هدي عليهم، ولهم أن يحجوا مفردين، وحاضرو المسجد الحرام هم أهل الحرم ومن كانوا قريبين منه بحيث لا يكون بينهم وبين الحرم مسافة تُعَدُّ سفرًا، وقيل: هم أهل الحرم فقط. ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ أي: أشهر الحج أشهر معلومات، وهي شوال وذو القعدة وعشر مِن ذي الحجة، فيجوز الإحرام بالعمرة من أول شهر شوال لمن أراد الحج متمتعًا، ويجوز الإحرام بالحج من أول شهر شوال لمن أراد الحج مفردًا أو قارنًا، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ أي: مَن ألزم نفسه الحج بالشروع في الإحرام فليجتنب الرفث وهو جماع النساء ومقدماته القولية والفعلية، وليجتنب الفسوق، فلا يقع في المعاصي ومنها محظورات الإحرام، وليجتنب المجادلة والمخاصمة أثناء الحج، ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ كان بعض العرب يحجون من غير زادٍ فأمر الله الحُجاج بالتزود للسفر بالمال والطعام ونحو ذلك، وبين الله أن خير الزاد التقوى، وهي امتثال الواجبات، واجتناب المحرمات، والتوبة من السيئات، وهي زاد الآخرة الموصل إلى الجنة. ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ أي: لا إثم عليكم في التجارة وأنتم محرمون بالحج، ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ أي: فإذا دفعتم

وخرجتم من عرفات بكثرة وازدحام بعد غروب شمس يوم عرفة متجهين إلى مزدلفة، وهي المشعر الحرام، سُمِّي مَشْعَرًا لما فيه من الشعائر، وهي معالِم الدين والعبادة، ومعنى الحرام: المحرَّم الذي يحرم فيه الصيد وغيره من محظورات الإحرام، أمر الله الحجاج أن يذكروه عند المزدلفة، فإذا وصل الحاج مزدلفة صلى المغرب والعشاء جمع تأخير، ويبيت ليلة العيد بمزدلفة في أي مكان منها، ثم يصلي الفجر يوم العيد بمزدلفة، ويكثر من ذكر الله ودعائه بعد صلاة الفجر، ويخرج من مزدلفة قبل طلوع الشمس متجهًا إلى منى لرمي جمرة العقبة، ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾ أي: اذكروا الله شكرًا على هدايته لكم في مناسك الحج وغيرها وإن كنتم قبل هدايته لكم ضالين عن الحق في أمور الحج وغير ذلك، ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾ كان العرب في الجاهلية يحجون، وكان كفار قريش لا يقفون مع الناس يوم عرفة بعرفات لأنه خارج الحرم، ويقفون في مزدلفة وهي من الحرم، ويقولون: نحن أهل الحرم لا نخرج منه في الحج، ونُفيض من مزدلفة، فأمرهم الله أن يقفوا مع الناس في عرفات، ويُفيضوا من عرفات مثل بقية الحجاج، وثم في هذه الآية ليست للترتيب، بل لعطف جملة على جملة. ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗا﴾ كان العرب بعد إتمام مناسك الحج يجتمعون للتجارة ومناشدة الأشعار وذكر مناقب الآباء والأجداد، فأمرهم الله إذا أتموا مناسك الحج أن يكثروا من ذكر الله أكثر من ذكر آبائهم وأجدادهم، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾ أي: نصيب، ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ ذم الله من لا يسأله إلا الدنيا، وأثنى على من يسأله خير الدنيا والآخرة، وحسنة الدنيا تشمل العلم النافع والعمل الصالح والرزق الحلال والعافية وطِيب النفس والقناعة والزوجة الصالحة والذرية الطيبة، وحسنة الآخرة الجنة، وهذا الدعاء من أفضل الأدعية القرآنية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾ الصالحون الذين يدعون الله بهذا الدعاء العظيم لهم نصيب من ثواب أعمالهم الصالحة ومما سألوا الله من خير الدنيا والآخرة، بحسب إخلاصهم وأحوالهم، وما يشاء الله أن يعطيهم، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ الله سبحانه سريع المحاسبة لعباده في الدنيا والآخرة، فهو يحصي أعمالهم، والدنيا أمد فسرعان ما تنقضي أعمارهم، ويوم القيامة يحاسب الله جميع الخلائق أولهم وآخرهم في وقت يسير. ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ الأيام المعدودات هي أيام التشريق الثلاثة، وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، فيبيت الحجاج بمنى ليالي أيام التشريق الثلاثة، ويرمون الجمرات الثلاث في كل يوم من أيام التشريق بعد زوال الشمس، كل جمرة يرمونها بسبع حصيات، يكبرون الله مع كل حصاة، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ للحاج أن يكتفي برمي الجمرات في يومي الحادي عشر والثاني عشر ثم ينصرف من مِنى إلى مكة قبل غروب الشمس، وإن شاء تأخر فيبيت بمنى ليلة الثالث عشر، ثم يرمي الجمرات الثلاث بعد زوال الشمس في اليوم الثالث عشر، فلا حرج على من تعجل في يومين أو تأخر إلى اليوم الثالث، وهذه الرخصة للحاج في التعجل في يومين أو التأخر هي لمن اتقى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لا سيما ما يتعلق منها بالحج، وقيل: المعنى من تعجل في يومين يرجع من الحج ولا إثم عليه، ومن تأخر يرجع من الحج ولا إثم عليه، وهذا الفضل العظيم بمغفرة الذنوب للحجاج يكون لمن اتقى الله سبحانه، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ حَجَّ البَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾ أمر الله الحجاج بعد انتهاء حجهم وانصرافهم إلى بلدانهم أن يتقوه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وأن يستمروا على طاعته أينما كانوا، وأمرهم أن يعلموا أن الله سيجمعهم يوم القيامة للحساب والجزاء. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ بعض المنافقين فصيحٌ يعجب سامعه، وكلامه حسنٌ فيما يتعلق بأمور الدنيا، ويكذب على الناس فيحلف لهم أن الله يعلم ما في قلبه من حسن النية، وأن الذي في قلبه موافق للسانه، ويظهر للناس غير ما يخفيه، وهو شديد الخصومة والجدال بالباطل، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ﴾ وإذا انصرف من عند المسلمين الذين يخادعهم بكلامه اجتهد في الإفساد في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي، وإتلاف الزروع والثمار، وقتل أطفال الناس ونَتاج الحيوانات، وكذا إذا صار واليًا وترأس على الناس أفسد في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي، وتشمل الآية من يشعل الحروب التي تُسَبِّب تدمير بيوت الناس وأسواقهم، وهلاك البساتين، وتعطيل المصالح، وقتل الناس والحيوانات، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ الله لا يحب جميع أنواع الفساد الحسي والمعنوي، ولا المفسدين، ويحب الإصلاح والمصلحين، وفي هذه الآية إثبات صفة المحبة لله سبحانه كما يليق بجلاله، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾ العزة الأنَفة والحَمِيَّة، يعني هذا المنافق المفسد متكبر، لا يقبل النصيحة، ويصر على الكفر والظلم والفساد، ﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾ أي: فيكفيه نار جهنم عقوبة له، وبئس الفِراش جهنم. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ أي: يبيع نفسه طلبًا لرضا الله عنه، وهم المؤمنون المخلصون، الذين يبذلون أنفسهم في سبيل الله، بالجهاد والدعوة والتعليم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ السّلم بفتح السين وكسرها قراءتان، ومعناهما واحد بمعنى الإسلام والصلح، أي: ادخلوا في شرائع الإسلام عامة، ولا تضيعوا شيئًا منها، وادخلوا جميعكم

في الصلح سواء الصلح بين المسلمين أو الصلح بين المسلمين والكافرين إذا اقتضت المصلحة الشرعية المصالحة، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ أي: لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به من ترك بعض شرائع الإسلام كالجهاد أو رفض المصالحة التي فيها مصلحة للإسلام والمسلمين فتخالفوا جماعة المسلمين، فالشيطان ظاهر العداوة لكم فاحذروا وساوسه. ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩﴾ أي: فإن أخطأتم بعد ما جاءتكم آيات القرآن الواضحة فتركتم بعض شرائع الإسلام أو خالفتم جماعة المسلمين فاعلموا أن الله عزيز حكيم فسينتقم منكم متى شاء بمقتضى حكمته. ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يَنظُرون: ينتظرون، ظُلَل: جمع ظِلَّة، وهي ما غطى وستر، والغَمام سحاب أبيض، هذه الآية من آيات الصفات، نؤمن بها من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، والله أعلم بكيفية مجيئه يوم القيامة في ظُلَلٍ من الغمام، آمنا به كل من عند ربنا، والله ليس كمثله شيء، قال الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الفجر: ٢٢]، وقال سبحانه: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨]، وقال عز وجل: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا} [الفرقان: ٢٥]، ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ أي: وفرغ الله من الحكم بين العباد وحسابهم ومجازاتهم بالعدل، وإلى الله ترجع جميع الأمور في الدنيا والآخرة، فهو الذي يدبر الأمر، ويحكم بين عباده. ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ أمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يسأل علماء اليهود عما أعطاهم الله في التوراة من الآيات الواضحة المبينة للحق، والنِّعم العظيمة التي خصهم بها، والمعجزات الكثيرة التي أيد بها موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام، ومع ذلك كفر أكثر بني إسرائيل، فلا عجب إن كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام المبشَّر به في التوراة، ومن يعرض عن نعمة الإسلام فلا يدخل فيه بعد أن بلغه فإن الله شديد العقاب لمن اختار الكفر على الإيمان، والمعصية على الطاعة. ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الكفار مفتونون بالدنيا الفانية، يرغبون فيها أعظم رغبة، ويبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة والمباهاة، ويستهزئون من المؤمنين الذين يرجون ثواب الآخرة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ المتقون فوق الكافرين يوم القيامة، فالمتقون في الجنة، والكفار في أسفل سافلين في جهنم، ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾ الله يرزق في الدنيا من يشاء رزقًا كثيرًا بلا تقدير ولا عدد، سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، ويرزق المؤمنين في الجنة رزقًا عظيمًا واسعًا لا ينقطع. ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: كان الناس منذ عهد أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام

متفقين على دين واحد، وهو الإسلام دين التوحيد، ثم طرأ عليهم الشرك واختلفوا، فبعث الله النبيين يأمرون الناس بعبادة الله وحده، وينهونهم عن الشرك، ويُبشرون من وحَّد الله وأطاعه بالجنة، وينذرون من عصاه وعصى رسله بالنار، وأنزل الله مع الرسل الكتب الإلهية المشتملة على الحق ليحكم الكتابُ بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمور الدين والدنيا، فيتبين للناس الحق في جميع خلافاتهم الدينية والدنيوية، كما قال الله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٤٤]، وقال سبحانه: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} [المائدة: ٤٧]، وقال عز وجل عن القرآن الكريم: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا} [الرعد: ٣٧]، وقال تبارك وتعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [النحل: ٦٤]، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: ما اختلف في كتب الله إلا الذين أُنزلت عليهم ليعملوا بها ويتحاكموا إليها، فاختلفوا مع وضوح الحق في كتب الله، فخالفوها بسبب الظلم والحسد فيما بينهم والحرص على الدنيا، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ فهدى الله المؤمنين إلى الحق الذي اختلف الناس فيه، فعرف المؤمنون الحق الذي بينه الله في كتابه، واتبعوه ولم يتبعوا أهواءهم، ووقوع الخلاف والهداية والضلالة كل ذلك بمشيئة الله وتقديره، كما قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٨، ١١٩]، وقال سبحانه: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [النحل: ٩٣]، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ والله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١]، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: ١٧]، {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: ٢٧]. ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ أي: أتظنون - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة دون أن يصيبكم في الدنيا بلاء وشدة كما أصاب المؤمنين الذين مضوا قبلكم؟! لا تظنوا ذلك، فالدنيا دار اختبار، ولا بد أن يختبركم الله فيها بما يشاء؛ ليعلم الله الصابرين والصادقين والمجاهدين، فالمؤمنون من الأمم السابقة قبلكم أصابهم الفقر الشديد، وأصابتهم الأمراض المتنوعة، وزلزلوا أي: خُوِّفوا وحُرِّكوا بالشدائد من جهة أعدائهم، حتى تساءل الرُّسُل والمؤمنون معهم: متى ينصرنا الله على الكافرين؟! ونصر الله للمؤمنين قريب، في الوقت الذي يُقدِّره الله فلا تستعجلوه.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ

﴿٢١٥﴾ أي: يسألك أصحابُك – أيها النبي – عن قدر الصدقات ولمن يعطونها فقل لهم: أيُّ صدقةٍ قليلةٍ أو كثيرةٍ فأعطوها الأب والأم وسائر الأقارب واليتامى والمساكين والمسافر المحتاج، وأيُّ معروفٍ تفعلونه فالله يعلمه وسيجازيكم عليه. ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ أي: فَرَض الله عليكم الجهاد في سبيل الله وأنتم تكرهونه، لما فيه من مشقةٍ بالغة وخوفٍ عظيم وتعرضٍ للقتل والجراح والأسر، لكنه خير لكم وللأمة، فبالجهاد يُدفَع شر الكافرين، ويُنشر الدين، وتحصل العزة للمؤمنين، والتمكين في الأرض، ونصر المستضعفين، والجهاد سبب للفوز بالشهادة وتكفير السيئات وحصول الأجر العظيم ونيل الدرجات العالية في الجنات، وفي ترك الجهاد شر عظيم في الدين والدنيا، فيتسلط الكافرون على المسلمين، ويفسدون دينهم ودنياهم، ويتحكمون في أمورهم وثرواتهم. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي: يسألونك عن حكم القتال في الشهر الحرام، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية عليها عبد الله بن جحش رضي الله عنه فوجدوا قافلة لكفار قريش، فقاتلوهم في آخر يوم من شهر رجب، وقتلوا من الكفار رجلًا، وأسروا رجلين، وغنموا، فسألوا النبي عليه الصلاة والسلام عن حكم قتالهم الكفار في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية، ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي: القتال في الشهر الحرام إثم عظيم، فلا يجوز القتال فيه كما قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة: ٣٦]، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي: صدُّ كفارِ قريشٍ الناس عن الإسلام، وكفرُهم بالله، {والمسجدِ الحرامِ} أي: وصدٌّ عن المسجد الحرام، يعني: ومنعُ كفارِ قريشٍ المسلمين من دخول المسجد الحرام للعمرة والحج والطواف والصلاة، وإخراجُهم أهلَ مكة من المسجد الحرام لإيمانهم بالله أكبر إثمًا عند الله من القتال في الشهر الحرام، فالفتنة بالكفر وصد الناس عن الإسلام وصد المسلمين عن العبادة في المسجد الحرام وإلجائهم إلى الهجرة وترك مكة أعظم إثمًا من القتل الذي وقع من سرية المسلمين في الشهر الحرام، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ هذه الآية وإن نزلت في سبب خاص إلا أنها عامة، فالكفار في كل زمان لا يزالون يقاتلون المسلمين ليردوهم عن دين الإسلام، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ حبطت أعمالهم أي: بطَلت، وفي هذه الآية تحذير من الردة عن الإسلام، وأنها قد تقع من بعض المسلمين، ومن أسبابها سماع شبهات الكفار ومخالطتهم، وفيها أن العبرة بالخاتمة، فالكافر أو المرتد إذا تاب صادقًا قبل موته تُقبل توبته،

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ أي: إن الذين آمنوا وتركوا بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين ليعبدوا الله ويقيموا دينه، وجاهدوا الكفار في سبيل الله أولئك يرجون أن يرحمهم الله بعد أن عملوا بأسباب الرحمة، والله يغفر لهم ما يقع منهم من خطأ في الجهاد وغيره، وهذه الآية نزلت في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنهم الذين أخطأوا بالقتال في الشهر الحرام، وهي عامة لجميع المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، فمن غلب خيره شره فهو على خير، ومن كثرت حسناته وكان له في الإسلام أثرٌ ظاهر فإنه يُحتمل له من الأخطاء ما لا يُحتمل لغيره، ومن كان متبعًا لسبيل المؤمنين متحريًّا الحق بقدر استطاعته ثم أخطأ في العلم أو العمل فالواجب أن يُعذَر ويُنصَح، ولا تُهدر حسناتُه، ولا تُنسى فضائلُه، والله غفور رحيم بعباده، ولا أحد من العلماء والدعاة والصالحين يسلَم من الخطأ والنقص والتقصير، والله غفورٌ رحيم. ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا﴾ سأل الصحابةُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام عن الخمر والقمار فأنزل الله هذه الآية، أي: يسألك أصحابك عن الخمر والقمار، قل لهم: فيهما إثم كبير وكثير، وفيهما منافع للناس كالتجارة في الخمر والربح في القِمار، ومفاسدهما أعظم من النفع المرجو منهما، فهما سبب للعداوة والبغضاء، ويُلهيان الإنسان عن ذكر الله وعن الصلاة، والخمر كل ما يُزيل العقل ويُسكِر الإنسان، وهي أم الخبائث، وباب المنكرات، ومثل الخمر المخدرات، بل هي أشد إثمًا وأكثر ضررًا، والقمار كل ما فيه مخاطرة بالغُنم أو الغُرم، سواء كان بيعًا أو لعبًا أو غير ذلك من المغالبات التي فيها عِوضٌ من الطرفين. ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أي: ماذا يتصدقون؟ قل: يُعطُون العفو، وهو فضلُ المال المتيسر إخراجه بلا تكلف، يعني: يُعطون المساكين ما فضل عن حاجتهم وحاجة أهاليهم ولو كان شيئًا يسيرًا من المال والطعام والثياب والأثاث وغير ذلك، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: كما بين الله لكم هذه الآيات في حكم الخمر والميسر كذلك يبين لكم سائر آياته لعلكم تتفكرون في الدنيا الفانية والآخرة الباقية، فتقدموا ثواب الآخرة على متاع الدنيا الزائل، وتطيعوا الله لنيلِ رضاه، ولا تتبعوا الهوى فتكونوا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، وفي هذه الآية حث على التفكر في حقيقة الدنيا والآخرة، وبيان فضل عبادة التفكر، فالتفكر بداية الهداية في أمور الدنيا والدين، والتفكر سبب لتحقيق المصالح العظيمة للفرد والجماعة. ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾ روى أبو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لما نزلت {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام: ١٥٢] عزلوا أموال اليتامى، حتى جعل الطعامُ يَفسُد، واللحم يُنتِن، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه

وسلم، فنزلت هذه الآية، فخالَطُوهم في أموالهم)، وذكر غير واحد من التابعين أن هذا سبب نزول الآية، وإصلاح مال اليتيم يكون بحفظه، والتجارة فيه لمصلحة اليتيم، والنفقة عليه منه بلا إسراف، ومخالطة مال اليتيم مثل مخالطته في الطعام بالعدل بلا أخذ زيادة من ماله، ومعنى: {لأعْنَتَكم} أي: لشدَّد عليكم وكلَّفكم في مال اليتامى ما لا تطيقون، وعسَّر عليكم بتحريم خلط أموالكم بأموال اليتامى مطلقًا ولو كنتم تريدون بذلك إصلاح أموالهم وأحوالهم. ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ لا تَنكِحوا أي: لا تتزوجوا المشركات الوثنيات، ولا تُنكِحوا: أي لا تُزوِّجوا المشركين النساء المؤمنات، فلا يجوز زواج المؤمن بمشركةٍ، ولا زواج المؤمنة بمشركٍ، وزواجُ المؤمنِ بأمةٍ مملوكةٍ مؤمنةٍ خيرٌ له من زواجه بمشركةٍ ولو أعجبه جمالُها أو كثرةُ مالها أو حُسنُ أخلاقِها، وتزويجُ المؤمنةِ بعبدٍ مملوكٍ مؤمنٍ خيرٌ لها من تزويجها بمشركٍ ولو أعجبكم - أيها الأولياء - جمالُه وكثرةُ ماله وحُسنُ أخلاقِه، فالكفار رجالًا ونساءً يدعون من يخالطهم إلى النار بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، وهذه الآية تدل على شر مصاحبة الكافرين والنظر إليهم وسماع أقوالهم ولو من خلال الأفلام ومقاطع الفيديو ونحوها، فمخالطتهم ومتابعتهم في وسائل التواصل والإعلام تؤثِّر أثرًا سيئًا في القلوب والأعمال والأخلاق، وتدعو إلى الرغبة في الدنيا، وإيثارها على الآخرة، والغفلة عن ذكر الله وعبادته. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ روى مسلمٌ في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يخالطوهن في البيوت، فسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله هذه الآية، والمحيض والحيض: هو دمٌ يخرج من رحم المرأة في زمن مخصوص من غير سبب ولادة، ودم الحيض نجسٌ، فيجب على الرجال اعتزالُ جِماع النساء حال حيضهن، أما مجالستهن ومخالطتهن فجائزة، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي: ولا تجامعوهن حال الحيض حتى يَطْهُرن أي: ينقطع عنهن الدم، وفي قراءة: {يَطَّهَّرن} أي: يغتسلن بعد انقطاع دم الحيض، ومثل الحيض النفاس، وهو الدم الخارج من رحم المرأة عند الولادة، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: إذا انقطع دم الحيض والنفاس واغتسلت المرأة جاز لزوجها أن يجامعها من حيث أمر الله الأزواج، وذلك في القُبُل لا في الدُّبُر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ الله يحب المكثرين من التوبة، والمتطهرين من الأنجاس، الحريصين على الوضوء والغُسل وإزالة النجاسات من أبدانهم وثيابهم وأماكنهم، والمتنزهين عن مواضع النجاسات، وفي هذه الآية دليل على تحريم جماع المرأة في دبرها، فإنه موضع نجسٌ يجب اجتنابه. ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ روى البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه

قال: (كانت اليهود تقول: إذا جامع الرجل زوجته من ورائها في قُبُلها جاء الولد أحول، فنزلت هذه الآية)، أي: نساؤكم موضعُ نباتِ أولادكم كالأرض التي يبذر فيها الإنسان الحب فتُنبِت له الزرع، وكذلك المرأة يجامعها الرجل فيُنزِل المني في رحمها، فتحمِل بالجنين بإذن الله، ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: جامعوا نساءكم كيف شئتم من أي جهة، ومتى شئتم في أي وقت، بشرط أن يكون الجِماع في موضع الحرث وهو القُبُل لا الدُّبُر، وفي غير زمن الحيض والنفاس، ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ أي: قدِّموا لأنفسكم الأعمال الصالحة التي تنفعكم في الآخرة، واتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أنكم ملاقو الله عند الموت، وملاقوه يوم القيامة عند الحساب، ومن علم أنه سيلقى الله آمَن وأحسن العمل، ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ أي: بشرهم بالخير العظيم في الدنيا والآخرة. ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ أي: لا تجعلوا الحلف بالله مانعًا لكم من فعل الخير كالصدقة وصلة الرحم أو مانعًا لكم من تحقيق تقوى الله أو مانعًا لكم من الإصلاح بين الناس، فمن حلف على ترك الخير، فليُكفِّر عن يمينه، وليفعل الخير. ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ أي: لا يحاسبكم الله بما لم تقصدوه يمينًا، ولم توجبوه على أنفسكم، نحو قول الإنسان: لا والله، وبلى والله، وهو لا يقصد اليمين، فهي يمين غير منعقدة، وليس فيها كفارة، ولكن يحاسبكم الله بالحلف الذي قصدَتْ به قلوبكم اليمين بالله، فمن حلف بالله قاصدًا تأكيد ما حلف عليه ثم حنث فعليه كفارة اليمين المعروفة، يُطعِم عشرة مساكين، فإن لم يستطع صام ثلاثة أيام، والحليم من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي لا يعجل بالعقوبة على ذنوب عباده، بل يُمهِل الكافرين والظالمين والفاسقين عسى أن يتوبوا، فإن لم يتوبوا أنزل بهم عقوبته متى شاء وقد أمهلهم وأعذرهم. ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ أي: الذين يحلفون أن يتركوا جماع نسائهم عقوبة لهنَّ، لهم مهلةٌ أربعةُ أشهر، فإن رجع الزوج عن يمينه، وجامع زوجته بعد أن حلف أن لا يجامعها؛ فليُكفِّر عن يمينه، والله غفور رحيم، وقد كان الرجل في الجاهلية إذا كره زوجته حلف أن لا يجامعها أبدًا، ولا يطلقها كراهة أن يتزوجها غيره، فتكون معلَّقة عليه حتى يموت أحدهما، فأبطل الله ذلك، وأمهل المُولي أربعة أشهر، فإما أن يجامع زوجته ويحنث في يمينه، وإما أن يطلقها، ولا يجوز له أن يجعلها معلقة لا متزوجة ولا مطلقة، فالضرر يُزال ولا يُقر، ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ أي: وإن عزم المُولي على طلاق زوجته واستمراره في اليمين فليتلفظ بطلاقها، ولا يقع الطلاق بحديث النفس، وإنما يقع الطلاق باللفظ، ويقع أيضًا بالكتابة مع نية الطلاق، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأعمالهم ونياتهم. ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ يتربصن: ينتظرن، وقُروء جمع قَرء، والقَرء يُطلق

على الحيض وعلى الطهر، فهو من الأضداد، فعِدة المطلقات ثلاث حِيَض، وقيل: ثلاثة أطهار، قولان مشهوران للفقهاء، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي: لا تكتُم المطلقة ما خلق الله في رحمها من حملٍ أو حيض، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ بَعْل المرأة: زوجها، فالزوج أحق بإرجاع زوجته الرجعية إن طلقها مرة أو مرتين ما دامت في عدتها، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: للزوجات حقوق واجبة على أزواجهن، مثل الذي عليهن من الحقوق لأزواجهن، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وللرجل زيادة في الحقوق على زوجته؛ لفضله وإنفاقه. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ أي: الطلاق الذي يملك الزوج بعده إرجاعَ زوجته مرَّتان مرَّة بعد مرَّة، ويسمى الطلاق الرجعي، فإن طلقها وما زالت في عِدَّة الطلاق فإما أن يُرجِعها ويعاشرها بالمعروف بلا ظلم ولا سوء خُلُق، وإما أن يتركها فلا يراجعها حتى تنقضي عدتها، وعليه أن يؤدي حقوقها ولا يظلمها، فالواجب على الزوج إما أن يعاشر زوجته بالمعروف شرعًا وعُرفًا وإما أن يطلقها بإحسان، ولا يجوز له أن يُدخِل الضرر على زوجته بالظلم والتقصير في النفقة وسوء الخُلُق، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يحل للزوج أن يأخذ شيئًا من مهر زوجته إذا أراد مفارقتها إلا في الخُلْع، وهو مفارقة الرجل زوجته على عِوَضٍ تدفعه الزوجة له، فيجوز للزوج أن يأخذ ما تعطيه زوجته من مالٍ ليفارقها، إن عَلِما أو ظنَّا أنهما لا يستطيعان القيام بالحقوق الزوجية، لسوء خلق الزوج أو لكراهة الزوجة له أو لغير ذلك من الأسباب، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي: فإن خاف الزوجان أو الأولياء والمصلحون بين الزوجين أنهما لن يقيما حدود الله في الزواج فلا إثم على الزوجين في أن تدفع الزوجة لزوجها مالًا ليفارقها، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ هذه الأحكام بينها الله لكم في كتابه فلا تتجاوزوها بالمخالفة، ومن يتعد الأحكام الشرعية المتعلقة بالزواج والطلاق والخُلع وغير ذلك من أحكام الشريعة فهو من الظالمين لأنفسهم ولغيرهم، المستحقين لعذاب الله في الدنيا والآخرة. ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: فإن طلَّق الرجل زوجته الطلقة الثالثة فلا تحِل له بعد الطلاق البائن حتى تتزوج برجل آخر زواجًا صحيحًا عن رغبة في دوام الزواج لا بقصد تحليلها لزوجها الأول، فإن طلقها الزوج الثاني أو مات عنها بعد حصول الجماع بينهما فلا إثم على المرأة ولا على زوجها الأول أن يتزوجا إن غلب على ظنهما أن يقوما بالحقوق الزوجية كما شرع الله. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: وإذا طلقتم زوجاتكم طلاقًا رجعيًا فقاربن انتهاء العدة فإما أن تُراجعوهن بالمعروف بلا ظلم ولا سوء خُلُق، وإما أن تتركوا إرجاعهن حتى تنقضي عدتهن بلا ظلم لهن ولا

إساءة، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ أي: ولا يجوز لكم أن تراجعوهن بقصد الإضرار بهن، كأن يتركها الزوج في عصمته من غير أن يعطيها حقوقها، ويمتنع من طلاقها لئلا تتزوج رجلًا غيره أو يراجعها بعد الطلقة الأولى ليطلقها طلقة ثانية لتطويل العدة عليها، أو ليضطرها إلى الخلع ودفع مالٍ له لتفتدي نفسها منه، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي: ومن يضار زوجته فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي: ولا تستهزئوا بأحكام الله التي شرعها لمصالح عباده ودفع الضرر عنهم، فتجعلوها لعبًا وسخرية بترك العمل بها، وتغييرها عن مقاصدها، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ أي: واذكروا نعم الله عليكم لتشكروه عليها، واذكروا أعظم نِعَمِ اللهِ عليكم، وهي نِعمةُ القرآن الكريم والسنةِ النبوية المبينة للقرآن، ففيهما الهداية في جميع أموركم الدينية والدنيوية، وفيهما الأحكام العادلة، والأخبار الصادقة، والمواعظ الكافية، والنصائح النافعة. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ روى البخاري من حديث معقِل بن يسار رضي الله عنه قال: (زوَّجتُ أختًا لي من رجل فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وأكرمتك، فطلقتها، ثم جئت تخطبها! لا والله لا تعود إليك أبدًا، وكان رجلًا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية، فزوجته إياها)، ومعنى الآية: وإذا طلق الرجال زوجاتهم طلاقًا رجعيًا، فانقضت عدة المطلقة من غير أن يراجعها زوجها، ثم أراد أن يتزوجها مرة أخرى بعقدِ نكاحٍ جديد فلا يجوز لكم – أيها الأولياء – أن تمنعوا النساء من التزويج بأزواجهن الذين طلقوهن ولم يراجعوهن في العدة، إذا تراضا الرجل وزوجته التي طلقها على أن يتزوجها مرة أخرى بالمعروف شرعًا بعقدٍ جديد ومهرٍ جديد، ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾ أي: هذا النهي لأولياء النساء من منعهن من التزويج بمن طلقوهن إنما يعمل به المؤمنون بالله واليوم الآخر، وتزويج النساء المطلقات بأزواجهن مرة أخرى إذا رغبا في الزواج خيرٌ لكم، وأطيب لنفوسكم، وأطهر لقلوبكم من الذنوب والعداوات، والوقوع في المنكرات، والله يعلم مصالح العباد في دينهم ودنياهم، ويعلم ما لا يعلم الناس، فشرع لهم ما يصلحهم، ويدفع الشرور عنهم. ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ {حَوْلَين} أي: سنتين، هذا هو الأكمل والأفضل في إرضاع الأولاد من الذكور والإناث، إن أراد الأب أو الأم كمال الرضاعة للولد، سواء في حال بقاء الزواج أو مع وقوع الطلاق، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: إن طلق الرجل زوجته وبينهما ولد رضيع فعلى والد الرضيع أن يدفع للأم المرضعة أجرة الرضاع من الطعام والكسوة بالمعروف شرعًا وعُرفًا بلا نقص ولا إسراف، بحسب غناه وفقره، ﴿لَا تُكَلَّفُ

نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ لا يوجب الله على الإنسان إلا قدر ما يستطيعه، ومن ذلك النفقة على أولاده، ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي: يحرم على الأم الإضرار بالأب فتكلفه نفقة لا يستطيعها أو تمنعه من رؤية ولده وزيارته، ويحرم على الأب الإضرار بالأم فيمنعها من إرضاع ولدها أو يُقصِّر في نفقتها ونفقة ولدها، وفي وصف الأب بأنه مولود له بيان أن الأولاد يُنسبون إلى آبائهم، وأنهم أحق بالأولاد من الأمهات، وأن عليهم النفقة على أولادهم وعلى الأمهات المطلقات إن أرضعن أولادهم، فالأمهات ولدن الأولاد للآباء، ولا ينافي هذا حق الأم في الحضانة لمصلحة الولد، ﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾ أي: إذا مات والد الطفل فيجب على وارثه مثل ما كان واجبًا على الأب من النفقة والكسوة للأم المرضعة وولدها بالمعروف، وترك الإضرار بها، ﴿فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا﴾ أي: فإن أراد الأب والأم فطام الرضيع قبل انتهاء الحولين، وتراضيا على ذلك، وشاورا من يهمه مصلحة الطفل؛ فلا إثم عليهما في فطامه، ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ أي: وإن أردتم أن تطلبوا لأولادكم الرُّضَّع مرضِعاتٍ غيرَ أمهاتهم المطلقات فلا إثم عليكم، إذا دفع الأب للأم المطلقة حقها من النفقة أثناء حملها، وأعطى للمرضعة أجرة الرضاعة بلا نقص ولا مماطلة، قال الله تعالى: {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى} [الطلاق: ٦]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ يذرون: يتركون، يتربصن: ينتظرن في بيوت الزوج ولا يعجلن إلى الزواج، أي: إذا مات الزوج وترك زوجة أو زوجات يجب عليها العدة في بيت زوجها أربعة أشهر وعشر ليال، ولا يجوز لها التزين ولا التطيب ولا الزواج أثناء العدة، ولا تخرج من بيت زوجها إلا لحاجة في النهار، ولا تخرج ليلًا إلا لضرورة، والحامل تنتهي عدتها بوضع حملها، ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ بلغن أجلهن: انقضت عدتهم، والأجل غايةٌ تقال في الموت وغيره، أي: فإذا انقضت مدةُ عدة المرأة المتوفى زوجها فلا حرج على أوليائها فيما فعلت في نفسها من الزينة والتطيب والزواج بالمعروف شرعًا، فلا تظهِر الزينة للرجال الأجانب، ولا تتطيب عند الخروج من بيتها. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ التعريض الإيماء والتلويح من غير تصريح، وخِطبة النساء هي: طلب الزواج من المرأة، أي: لا إثم على الرجال أن يذكروا للنساء المتوفى أزواجهن أو المطلقات طلاقًا بائنًا كلامًا يشير إلى الرغبة في خِطبتهن بعد انتهاء عدتهن، ولا إثم فيما أضمرتم في أنفسكم من نية الزواج بالمرأة بعد انتهاء عدتها، فالله يعلم أن بعض الناس قد يذكر للمرأة المتوفى زوجُها أو المطلقةِ

طلاقًا بائنًا رغبتَه في الزواج بها، وقد حرَّم الله التصريح لها بالرغبة في نكاحها أثناء عدتها، وأجاز التعريض لها من غير تصريح، فيُكلِّم الرجلُ المرأة بكلامٍ تَفهم منه أنه قد يرغب في الزواج بها، ونهى اللهُ الرجل أن يُصرّح للمرأة في الخفاء أنه سيتزوجها بعد انقضاء عدتها إلا بأن يُعرِّض لها كما أباح الله من غير توضيح وتبيين، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ عقدة كل أمر إيجابه، وأصله الشد، أي: لا تعقدوا النكاح على المعتدات حتى تنتهي عدتهن، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ أمرنا الله أن نعلم أنه يعلم ما في أنفسنا، وأن نعلم أنه غفور حليم لا يعاجل العصاة بالعقوبات، فلنحذر من النيات الفاسدة، والمخالفات الخفية، ولنتب إليه، ونطلب مغفرته، ولا نغتر بإمهاله. ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ تَمَسُّوهن: تجامعوهن، فريضة: مهرًا، ومتِّعوهن: أعطوهن مالًا، والموسِع المكثِر الغني، والمقتِر: قليل المال الفقير، قدَره: بحسب قدرته، أي: لا إثم عليكم إن طلقتم الزوجات بعد عقد النكاح وقبل الجِماع، وقبل تحديد المهر، وعلى من طلق زوجته بعد العقد وقبل الجماع أن يعطيها شيئًا من ماله جبرًا لخاطرها بحسب قدرته وحاله من الغنى والفقر. ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أي: إن طلقتم الزوجات قبل الجماع وقد حددتم لهن قدر المهر فلهن نصف المهر المحدد إلا أن تتسامح المطلقات فيتنازلن عن حقهن فلا يأخذن نصف المهر أو يتسامح الزوج عن حقه في ارتجاع نصف المهر فيتركه لزوجته المطلقة فيكون لها المهر كاملًا، والذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، فهو الذي يمسك الزوجة أو يطلقها إن شاء، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ رغَّب الله كلًّا من الزوجين إن حصل الطلاق قبل الدخول وبعد تحديد المهر أن يعفو كلٌّ منهما عن حقه في نصف المهر، فمن عفا عن حقه فهو أقرب للتقوى من الآخر، والآية عامة في الأزواج وغيرهم، فمن عفا عن حقوقه فهو أقرب للتقوى، ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ أي: لا ينسى كلٌّ من الزوجين الإحسان إلى الآخر، والتفضل عليه بالزيادة على حقوقه الواجبة، ومسامحته إن قصر في بعض حقوقه. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ أي: واظبوا وداوموا على الصلوات الخمس في أوقاتها بشروطها وأركانها وواجباتها، واحذروا من التهاون بشيء منها، أو الانشغال عنها بغيرها، والصلاة الوسطى هي صلاة العصر، جاء بيانها في السنة النبوية، وهي داخلة في الصلوات الخمس، وإنما أُفردت بالذكر لبيان فضلها، والتأكيد على المحافظة عليها، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ أي: قوموا في الصلوات لله بإخلاص، في حال كونكم مطيعين خاشعين. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ رِجالًا جمع راجِل، ورُكبانًا جمع راكِب، أي:

إن خفتم فلم تستطيعوا إقامة الصلاة كاملة بخشوع بسبب قتال الكفار وغير ذلك من الأسباب فصلوا على أيِّ حالٍ كنتم، سواء كنتم ماشين على أقدامكم أو راكبين على الدواب أو السيارات أو الطائرات أو غير ذلك، ولا حرج عليكم في ترك استقبال القبلة والتقصير في بعض شروط الصلاة وأركانها وواجباتها بسبب عذر الخوف، فإذا زال عنكم الخوف فأقيموا الصلاة كاملة بتمامها كما أمركم الله، وأكثروا من ذكر الله شكرًا على ما علمكم الله ما لم تكونوا تعلمونه قبل إنزال القرآن الكريم وبعثة نبيه محمد عليه الصلاة والتسليم. ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [البقرة: ٢٣٤]، وبآيات المواريث، ومعنى هذه الآية المنسوخة: إذا مات الزوج وترك زوجة أو زوجات فيجب عليهن العدة في بيت الزوج سنة كاملة، فلا يُخرجهن ورثة الميت من بيوت أزواجهن، ويتمتعن فيها بالسُّكنى والنفقة من أموالهم، فإن خرجت المرأة باختيارها قبل انتهاء الحول فلا حرج على أوليائها فيما فعلت في نفسها من الأمور المباحة شرعًا كالزينة والتطيب والزواج، وقيل: إن هذه الآية غير منسوخة، وإنما هي وصية مستحبة للزوجة، فإن شاءت أقامت في بيت زوجها سنة، وإن شاءت خرجت بعد انتهاء عدة الوفاة الواجبة أربعة أشهر وعشرًا، وعلى ورثة الزوج المتوفى أن يتركوا زوجته في بيته سنة كاملة إن رغبت في ذلك، ولا يخرجوها منه، وتتمتع في بيت زوجها بالسكن فيه والنفقة من نصيبها من الميراث، والقول الأول أشهر عند العلماء، والقول الثاني محتمل، والله أعلم. ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾ أي: لجميع المطلقات متاعٌ واجب على أزواجهن بالمعروف شرعًا وعُرفًا من مال وكسوة ونحو ذلك جبرًا لخواطرهن بعد طلاقهن، وهذا الأمر حقٌّ على المتقين الحريصين على ما يرضي الله. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ أي: مِثلُ ما بين الله في الآيات السابقة أحكام الحيض والجماع واليمين والإيلاء والطلاق والخُلع والرضاعة والعِدة وخِطبة النساء وعقد النكاح ومتعة المطلقات يبين لكم في القرآن جميع الأحكام التي تحتاجون إلى بيانها لعلكم تفهمونها وتعملون بها. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ أي: ألم تعلم - أيها المخاطَب - خبر آلاف الناس الذين خرجوا من مساكنهم خوفًا من الموت بسبب طاعون أو من الأعداء فأمرهم الله أمرًا كونيًا أن يموتوا فمات جميعهم ثم أحياهم الله في الدنيا؛ ليعلم الناس أن الفرار من الموت لا ينفع إذا جاء قدر الله، والله ذو إحسان على الناس، ونعمه عليهم لا تحصى، وأكثرهم لا يشكرون الله على نِعَمه. ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿٢٤٤﴾ لا بد أن يكون القتال في سبيل الله بإخلاص لإعلاء دين الإسلام، والله سميعٌ لأقوال العباد، عليمٌ بنياتهم وأعمالهم. ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ يُرغِّب الله عباده في الصدقات الواجبة والمستحبة بلا مَنٍّ ولا أذى، والمتصدق كأنه يُقرض الله سبحانه، والله يضاعف الأجر للمتصدق أضعافًا كثيرة في الآخرة، ويخلف عليه في الدنيا أكثر مما تصدق، والله يضيق الرزق ويوسع الرزق على من يشاء من عباده المسلمين والكافرين، الصالحين والفاسدين، وإلى الله وحده رجوع عباده فيجازيهم بأعمالهم. ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنۡهُمۡ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ الملأ: الأشراف والمقدَّمون في القوم، هل عسيتم: لعلكم، أي: ألم تعلم خبر الأشراف من بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام حين طلبوا من نبي لهم أن يختار لهم مَلِكًا منهم يوحد صفوفهم، ويقاتلوا معه أعداءهم الكافرين الذين أخرجوهم من بلادهم، وفرقوا بينهم وبين أبنائهم، فلما فرض الله عليهم الجهاد جَبُنُوا وأعرضوا عن القتال إلا قليلًا منهم، وهذه الآية تبين أن من أسباب النصر: القتال تحت راية واحدة، بقيادة واحدة، وأن الذي يتخلف عن الجهاد في سبيل الله بلا عذر فقد تشبه باليهود الظالمين. ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةً مِّنَ ٱلۡمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِى ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِى مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ لم يبين الله لنا في القرآن اسم هذا النبي، وفي التوراة أن اسمه صَمُوئِيلُ، وسماه كثير من المفسرين والمؤرخين: شَمْوِيلُ، والله أعلم، فقد حُرِّفت التوراة، فلا نصدق ما يذكره أهل الكتاب ولا نكذبه، ولا حرج على من ذكره من المفسرين والمؤرخين؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ)) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ))، وفي هذه الآية بيان أن المُلك بيد الله يؤتيه من يشاء، والواجب السمع والطاعة لمن ولاه الله على الأمة، والتعاون معه على الخير، ولا تجوز منازعته إلا إن أظهر الكفر البواح، ومن عارض مَن أعطاه الله المُلك، وادَّعى أنه أحق بالملك منه حسدًا له، وحرصًا على الدنيا، وأخفى حسناته كسعة العلم وحسن التدبير وقوة الجسد فقد تشبه باليهود، وكثير من الفتن والحروب سببها الحرص على الملك، والله يؤتي مُلكه مَن يشاء من الصالحين والفاسدين، وينزع الملك ممن يشاء، وكل ذلك

ابتلاء، وقد أوصى النبي عليه الصلاة والسلام أمته بالسمع والطاعة لمن تأمر عليهم وإن كان عبدًا حبشيًّا مُقطَّع الأطراف، وقال في خُطبة حجةِ الوداع: ((إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا)) رواه مسلم من حديث أم الحصين رضي الله عنها، وفي الصحيحين من حديث عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ). ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي: علامة مُلكِ طالوت أن يردَّ الله عليكم الصندوق الذي أخذه منكم الكفار، وفي الصندوق طمأنينة لكم من الله، وبعض الآثار التي تركها موسى وهارون وذريتهما من بعدهما، قيل: هي عصا موسى وما تبقى من ألواح التوراة التي تكسرت، والله أعلم، ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ أي: تحمل الملائكة الصندوق، وهذه العلامة العجيبة لتتيقنوا صحة ملك طالوت عليكم إن كنتم مؤمنين. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ أي: فلما خرج طالوت بجنوده وابتعدوا من المكان الذي كانوا فيه قال لهم: إن الله مختبركم بنهر، فمن شرب من النهر فليس من أهل طاعتي فلا يتْبَعْني، ومن لم يشرب منه إلا غرفة بيده فهو من أهل طاعتي فليَتْبَعْني، فشرب منه جنوده كلهم إلا قليلًا منهم، وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، فلما تعدى طالوت والمؤمنون النهر، وهو نهر الأردن فيما قيل، والله أعلم، قال المؤمنون لما رأوا قلتهم وضعفهم، ورأوا كثرة الكافرين وقوتهم: لا قدرة لنا اليوم على قتال مِلِك الكفار جالوت وجنوده الكثيرين الأقوياء، قال الموقنون بلقاء الله: كم من جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة بقدرة الله ومشيئته، والله مع الصابرين بالتأييد والنصر، فمن أسباب النصر: الصبر واليقين. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ أي: ولما ظهر المؤمنون لجالوت وجنوده الكافرين في أرض المعركة المتسعة دعا المؤمنون الله بقولهم: ربنا اصبب على قلوبنا الصبر فلا نجْبُن، وثبت أقدامنا في القتال فلا نفر، فمن أسباب النصر: دعاء الله والثبات في مواطن القتال. ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ أي: فهزم المؤمنون الكافرين بقدرة الله وعونه، وقتل

داود – قبل أن يكون نبيًّا – ملِك الكفار جالوت، وآتى الله داود مُلك بني إسرائيل بعد طالوت، وجعله نبيًّا، وأنزل عليه الزبور، وعلمه مما يشاء الله أن يعلمه كصُنع الدروع الخفيفة من حِلَقِ الحديد، ولولا أن الله يدفع بالمجاهدين في سبيله كيْدَ الكفار والمنافقين والفاسقين لفسدت الأرض بالكفر والظلم والمعاصي، ولم يبق فيها شيء من الإيمان والعمل الصالح، ومن فضل الله على الناس أنه لا يعاجلهم بالعقوبة من عنده، ويمدهم بالنعم العظيمة التي لا تحصى، ويدفع عنهم كثيرًا من الشرور في دينهم ودنياهم بما شرع لهم من الأحكام الشرعية الحكيمة. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ نسب الله تلاوة القرآن إلى نفسه، والذي كان يتلوه على النبي محمد عليه الصلاة والسلام هو جبريل عليه السلام، وصح ذلك لأن تلاوة جبريل آيات القرآن على النبي محمد بأمر الله سبحانه، وانظر رسالتي: نسبة القول أو الفعل إلى الله تعالى وهو قول أو فعل الملائكة بأمره، ففيها زيادة توضيح لهذه المسألة المهمة. ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ أي: فضَّل الله بعض الرسل على بعض، فأفضلهم محمد ثم إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، منهم من كلمه الله مباشرة كموسى عليه الصلاة والسلام، وأعطى الله عيسى بن مريم المعجزات الواضحة الدالة على صدق نبوته كإحياء الموتى بإذن الله، وقوّاه الله بجبريل عليه السلام يعينه، ولو شاء الله ما تقاتل الذين جاءوا بعد الرسل، فاختلفوا مع وجود آيات الله الموضحة للحق، فمنهم من آمن بالله ورسله وكتبه، ومنهم من كفر، وكل ذلك بمشيئة الله وإرادته، والله حكيم يفعل ما يريد، سبحانه لا راد لقضائه، ولا مخالف لمشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ يوم القيامة لا بيع فيه، ولا صداقة متناهية في المحبة والإخلاص، ولا شفاعة نافعة للكفار، وإنما الشفاعة تكون للمسلمين الموحدين بإذن الله. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: الله لا معبود بحق إلا هو سبحانه، فلا أحد كائنًا مَن كان يشاركه في استحقاق العبادة، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ اسمان من أسماء الله الحسنى، فالله هو الحي حياة كاملة لم يتقدمها عدم، ولا يلحقُها فناء، القيوم أي: الدائم الذي لا يزول، القائم بنفسه، والمقيم جميع خلقه بالإيجاد والرزق والتدبير، فهو الغني عن جميع خلقه، لا يحتاج إلى الملائكة، ولا إلى العرش، ولا إلى أحد من الخلق، وجميعهم فقراء إليه، لا يستغنون عن الله، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السِّنَة النعاس، وهو الفتور الذي يتقدم النوم، الله سبحانه لا ينعَس ولا ينام، لكمال حياته، وكمال صفاته. ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كل ما في السماوات وما في الأرض عبيدٌ لله، مملوكون له، وهو المتصرف وحده

في جميع خلقه بمشيئته وحكمته. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: مَنْ هذا الذي يملك الشفاعة عند الله إلا بإذن الله؟ فالشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا بعد إذن الله سبحانه، فلا يجرؤ أحد من الأنبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة أن يشفع لأحد إلا بإذن الله لمن يريد أن يرحمهم من المسلمين، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ: ٣٨]، وقال سبحانه: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم: ٢٦]، وقال عز وجل: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨]، والله لا يرضى إلا عن المسلمين الموحدين، أما الكافرون فلا يرضى عنهم، ولا شفاعة لهم، كما قال الله عنهم: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨]، وقال سبحانه حاكيًا عنهم أنهم يقولون: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، فالشفاعة المثبتة هي لأهل التوحيد من المسلمين، والشفاعة المنفية هي في حق الكافرين، وتواترت الأحاديث النبوية في إثبات الشفاعة للموحدين، والشفاعة أنواع منها: الشفاعة لبعض الصالحين أن يدخلوا الجنة بلا حساب، ومنها: الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة، ومنها: الشفاعة لأناسٍ من الموحدين قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها، ومنها: الشفاعة في خروج الموحدين من النار، ويتمنى الكفار حين يُخرِج الله الموحدين من النار أنهم كانوا مسلمين ليخرجوا منها كعصاة المسلمين، قال سبحانه: {رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} [الحجر: ٢]، فالذين يُخلَّدون في نار جهنم أبدًا هم الكفار، أما أهل الكبائر من المسلمين فيُعذِّبهم الله في قبورهم بما شاء من أنواع العذاب، ويعذبهم يوم القيامة عذابًا عظيمًا كما يشاء، وإن أدخلهم النار لا يُخلَّدون فيها، بل يُخرجهم الله منها برحمته متى شاء، ولا يبقى في النار مَن كان في قلبه مثقالُ ذرّةٍ من إيمان، قال الله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ١١٦]، وقال عز وجل: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٦، ١٠٧]. ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ يبين الله سبحانه سعة علمه، فهو يعلم الماضي والحاضر والمستقبل لكل مخلوق بالتفصيل، فلا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ يبين الله سبحانه قلة علم المخلوقين بالنسبة إلى علم الله، كما قال تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥]، فالعباد لا يعلمون شيئًا من علم الله الواسع إلا بما شاء أن يُطلعهم عليه، سواء من العلم الديني أو العلم الدنيوي، ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ الكرسي مخلوق عظيم من مخلوقات الله يسع السماوات السبع والأرض، فالسماء الدنيا التي زيَّنها الله بالنجوم والمجرات تحيط بالأرض من جميع جوانبها، والسماء الثانية تحيط بالسماء الأولى، وهكذا تحيط كل سماء بالسماء التي دونها، والكرسي فوق السماء السابعة، وفوقه العرش العظيم، وهو مستقِرٌ على ماء عظيم بقدرة الله كما أخبرنا الله بذلك في قوله: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧] أي: كان ولم يزل، وروى البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله عز وجل على العرش يعلم ما أنتم عليه)، ولا نعلم كيفية الكرسي ولا العرش، والعرش أعظم من الكرسي، بل هو أعظم المخلوقات، كما قال الله تعالى: {وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩]، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ أي: ولا يُثقِل اللهَ ولا يُتعِبه ولا يشق عليه حفظُ السماوات السبع والأرض وما فيهما من الخلق، فالله يحيي ويميت، ويُقدِّر الأرزاق، ويجيب الدعوات، ويُقلِّب الليل والنهار، ويُدبِّر الكون وما فيه بما يشاء، وهو أحكم الحاكمين سبحانه. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ هذان اسمان من أسماء الله الحسنى، فالله هو العلي بذاته وقَدْره وقهره، فهو العلي علو ذات، استوى على عرشه كما يليق بجلاله، وهو العلي علو قدرٍ في عظمته وصفاته، وهو العلي علو قهر على جميع خلقه، قهر كل شيء بقدرته وتدبيره، وهو العظيم الذات والصفات، له جميع معاني العظمة، فهو الكامل في جميع صفاته، وهو أعظم وأكبر من كل شيء، فيجب على المسلم تعظيمُ الله سبحانه، وتعظيمُ أمره ونهيه، وتعظيمُ شرعه، والاستقامةُ على دينه، والخوفُ من عقابه. ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ روى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت المرأة تكون مِقْلاتًا - لا يعيش لها ولد - فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهَوِّده، فلما أُجْلِيت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية)، فمن شاء لحق باليهود، ومن شاء دخل في الإسلام، فلا يجوز إكراه أحدٍ على الدخول في الإسلام، ولا يصح إسلامُ المكرَه، فمن أظهر الإسلام وأبطن الكفر فهو منافق، فلا بد للدخول في الإسلام من الرغبة فيه، والإيمان الصادق بالدين الحق، ولا حاجة إلى إكراه أحدٍ على الدخول في الإسلام، فقد تبين الهدى من الضلال، والإسلام هو الدين الحق الذي رضيه الله لعباده، وهو يوافق العقل والفطرة، وكل الأديان سواه ظاهرٌ بطلانها، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ الطاغوت: كل ما تجاوز حدَّه مِن معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع، كالشيطان والأصنامِ ومن

عُبِد وهو راضٍ، وكدعاةِ الكفر والضلال، وكالقوانينِ المخالفة للشريعة، والعُروة: موضع الإمساك وشد الأيدي من الحبل الذي يُتعلق به، والوثقى: المحكمة، لا انفصام لها: أي: لا انقطاع لها، فهي محكمة قوية الربط في الحبل، والمراد بالعروة الوثقى: الإسلام، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وحده إلهًا ومطاعًا وحاكمًا لا شريك له فقد تمسك بالدين الحق، وهو الإسلام الذي من تمسك به نجا من الضلال في الدنيا، ومن العذاب في الآخرة، ووصل بالتمسك به إلى الجنة. ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ الله ولي المؤمنين، يتولاهم ويعينهم على الخير، ويزيدهم هداية وتوفيقًا، ويخرجهم من ظلمات الكفر والفسوق والمعاصي والشهوات والشبهات إلى نور الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، فالمؤمن محتاجٌ دائمًا إلى هداية الله له، وفي كل ركعة من صلاته يسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم، والكفار يتولاهم شياطين الجن والإنس، فيضلونهم ويعينونهم على الشر، ويزيدونهم كفرًا وفسوقًا وظلمًا وضلالًا، ويخرجون من استطاعوا من الإيمان إلى الكفر، ومن طاعة الله إلى طاعة الشيطان والأهواء. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ أي: ألم تعلم بقصة الملك الكافر الذي جادل النبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وجود الله وربوبيته وألوهيته؟ وحمله على تلك المجادلة الباطلة أن أعطاه الله الملك بقدرته ومشيئته، فتكبر وطغى، ولم يعبد الله ولم يشكره، قيل: هو نَمْرُوذُ مِلِك العراق، والله أعلم، فلما أخبره إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن الله يحيي ويميت قال الملك الكافر معاندًا: أنا أحيي وأميت، يعني أنه يعفو عمن أراد أن يقتله فيحيا، ويقتل من أراد أن يميته، فلما رأى إبراهيم مغالطته قال له: فإن الله يأتي بالشمس كل يوم من جهة المشرق فإن كنت تحيي وتميت وتتصرف في الكون فأت بالشمس من جهة المغرب، فانقطع الكافر عن الجواب، ودهِش وتحيَّر، وبطلت حجته، وظهر عجزه وكذبه، والله لا يهدي الظالمين المصرين على ظلمهم وضلالهم. ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ يعني: أولم تر إلى الرجل الذي مرَّ على قرية؟ يقال: هو عُزيرٌ عليه السلام، والقرية هي بيت المقدس بعد أن خربها بُخْتَنَصَّر ملك بابل، والله أعلم، والعروش السقوف، وخاوية: خالية، يعني: قد سقط بعضها على بعض، سقطت سقوفها ثم سقطت عليها الحيطان، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ لم يتَسَنَّه: لم يتغير بمر السنين عليه، نُنشِزُها: أي: نرفعها إلى

مواضعها، ونعلي بعض العظام على بعض، وفي قراءة: {نُنشِرُها} أي: نحييها، كان هذا الرجل راكبًا على حمار، ومعه طعام وعصير، قال الرجل: كيف يحيي الله أهل هذه القرية بعد دمارها وهلاك أهلها؟! فأماته الله مدة مائة عام، ثم بعثه بعد موته فسأله الله بواسطة مَلَكٍ من الملائكة: كم لبثت ميتًا في هذا المكان؟! قال: لبثت ميتًا يومًا أو بعض يوم، قال: بل لبثت ميتًا مائة عام، ولم يتغير طعامه وشرابه بقدرة الله خلال هذه المدة الطويلة، ورأى عظام حماره بجانبه، فأراه الله كيف يحيي الحمار بعد موته، فارتفعت عظام الحمار، واتصل بعضها ببعض بقدرة الله، ثم كساها الله لحمًا، فإذا الحمار حي كما كان، فأيقن الرجل بقدرة الله على إحياء الموتى، وعلم كمال قدرة الله سبحانه على كل شيء. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ أي: اذكر حين دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى، فقال الله: أولم تؤمن؟ قال: بلى، أنا مؤمن بك وأعلم قدرتك على إحياء الموتى، ولكن أريد أن أشاهد ذلك بعيني، ويزداد يقيني بالمشاهدة، ويزداد قلبي طمأنينة، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور كالدجاج أو الحمام أو غير ذلك، {فصُرهن إليك} أي: ضمهن واذبحهن وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل من الجبال التي حولك جزءًا من هذه الطيور التي قطعتها وخلطت بعضها ببعض، ثم ادعهن، فدعاهن إبراهيم عليه الصلاة والسلام فأحياهن الله بقدرته، ورجع كل طيرٍ كما كان، وجاءت تلك الطيور الأربعة إلى إبراهيم عليه السلام يمشين بأقدامهن مسرعات. ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ السُّنبلة من الزرع مكان تكوّن الحب، جمعها سنابل، من فضلِ الله الكريم على عباده المؤمنين المخلصين مضاعفة أجر الصدقات وغيرها من الأعمال الصالحة، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ)). ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ المنُّ تعديد المعطي إحسانه على وجه الفخر، وهو من كبائر الذنوب؛ لأنه يكسر خاطر المعطى، والأذى كل ما يُكره من الأقوال والأفعال. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ أي: رد السائل بقول حسنٍ، والعفو عن إساءته خير من صدقة يكون بعدها أذى للسائل بقول أو فعل، ومن أسماء الله الحسنى: الغني، فهو غني بذاته، له الغِنى المطلق التام من جميع الوجوه، غني عن جميع خلقه، وعن عبادتهم وصدقاتهم، لا تنفعه طاعةُ الطائعين، ولا تضره معصيةُ

العاصين، ومن كمال غناه أنه يرزق خلقه أجمعين في الدنيا، وأعد للصالحين في الجنة ما لا ينفد، من النعيم الذي لا يخطر ببال أحد. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ مِن مبطلات أجر الصدقة: المن والأذى والرياء، والكافر إذا تصدق ليس له أجرٌ في الآخرة، فمثَلُ صدقته كصفوان، وهو حجر أملس، عليه ترابٌ، فأصاب الحجر مطرٌ شديد فترك المطرُ الحجرَ أملسًا ليس عليه تراب تنبت فيه الزروع والأشجار، وكذلك الكفار لا ينتفعون في الآخرة بصدقاتهم وأعمال الخير التي عملوها في الدنيا، فالله لا يقبلها منهم لكفرهم، والله لا يهدي القوم الكافرين ما داموا مصرين على كفرهم. ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾ {تثبيتًا من أنفسهم} أي: يستيقنون أن الله يثيب المتصدقين، فهم يحتسبون الأجر في صدقاتهم، ويمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق، ويُثبّتون أنفسهم على الإيمان باحتمال المشقة في بذل المال، أي: مثَلُ صدقات المخلصين الصادقين كبستان كثير الأشجار على مكان مرتفع من الأرض أصابه مطر غزير فأعطت ثمرته ضعفين بسبب خصب التربة وارتفاع البستان وكثرة المطر، فإن لم يصب هذه الجنة مطر كثير فيكفيها مطر خفيف لتؤتي ثمارها، فكذلك المؤمن المنفق يضاعف الله أجر صدقاته سواء قلت أو كثرت. ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾ أي: أيحب أحدكم ويتمنى أن تكون له جنةٌ في الدنيا من النخيل وأنواع الأعناب، تجري من تحت أشجارها الأنهار فيسقيها بلا مشقة، له في هذه الجنة من جميع أصناف الفواكه، وأصابه كِبَرُ السِّن، وله أولاد ضعفاء لصغرهم أو لعجزهم، فهو في أمس الحاجة إلى هذه الجنة للنفقة على نفسه وعلى ذريته، فأصاب الجنة ريحٌ عاصفٌ ترفع التراب إلى السماء وتدور في الأرض بسرعة وفيها نارٌ فاحترقت هذه الجنة؟! فهذا مَثَل مَن أكثر من الصدقات والأعمال الصالحة ثم ترك الاستقامة على طاعة الله وانتكس، فأحبط الله ثواب أعماله الصالحة، فلم ينتفع بثوابها في الآخرة، وإنما الأعمال بالخواتيم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يدخل في هذه الآية الزكاة الواجبة كزكاة النقد وعروض التجارة وزكاة الثمار والزروع والمعادن، وصدقاتُ التطوع المستحبة في جميع الأموال، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ نزلت هذه الآية في رجالٍ من الأنصار كانوا يتصدقون بالرديء من التمر، فنهاهم الله عن ذلك، أي: ولا تتعمدوا ولا تقصدوا الصدقة بالرديء من التمر وغير ذلك من أموالكم،

ولو كان الحق لكم لن تقبلوا هذا الرديء إلا أن تتغاضوا عن رداءته، وتتسامحوا في قبوله، ومن أسماء الله الحسنى: الحميد، فهو المحمود في ذاته وأسمائه وصفاته، له الحمد كله، فالثناء كله له، والشكر كله له. ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ أي: الشيطان يخوّفكم – أيها المؤمنون – الفقر إن تصدقتم، ويأمركم بالبخل وغير ذلك من المعاصي المنكرة، والله يعدكم – أيها المؤمنون – أن يغفر لكم بسبب صدقاتكم، ويزيدكم رزقًا حسنًا، ويعوضكم عما تصدقتم به، كما قال الله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤]، وقال سبحانه: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: ٣٩]، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ)) رواه الترمذي وصححه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)) رواه مسلم. ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾ الحكمة هي العلم بالحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وعبادة الله سبحانه، وحسن الأخلاق في معاملة الناس، فهذا كله من الحكمة، وأعظم الحكمة: القرآن الكريم، والعلم بتفسيره، والسنة النبوية، والفقه في الدين، فالله يعطي الحكمة من يشاء من عباده، ومن يعطيه الله الحكمة في اعتقاده وأقواله وأعماله الظاهرة والباطنة فقد أعطاه خيرًا كثيرًا، وما يتعظ ويقبل النصيحة إلا أصحاب العقول الكاملة، وأكثر الناس في عقولهم نقص فيما يتعلق بأمر الآخرة، وإن كانوا في كثير من أمور الدنيا عقلاء. ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ النذر هو إلزام المكلَّفِ نفسه طاعةً لله تعالى، وهو عبادة يجب صرفها لله تعالى وحده، ومن صرف النذر لغير الله كقبرٍ أو عبدٍ صالحٍ أو صنمٍ أو غير ذلك فقد أشرك بالله شركًا أكبر، ومن أنفق أو نذر لله فإن الله يعلم صدقته وسيجازيه عليها. ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠﴾ لا أحد ينصر الظالمين يوم القيامة من عذاب الله، ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾ أي: إن تظهروا صدقاتكم فتعطوها مستحقيها علانية بإخلاص لله فنِعْم الشيء هي، وفي ذلك مصلحة اقتداء الناس بالمتصدق، وحصول المقصود للمحتاج، وإن أخفيتم صدقاتكم، وأعطيتموها الفقراء سرًا فهو أكثر أجرًا، وأبعد عن الرياء. ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٢﴾ كان الصحابة رضي الله عنهم لا يتصدقون على أقاربهم المشركين، فسألوا النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك فنزلت هذه الآية، رواه ابن جرير الطبري وغيره بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، فأجاز الله للمسلمين أن يتصدقوا على

المشركين، وأيُّ صدقة على مسلم أو كافر فنفعها يعود على المتصدق، وفيها أجر إذا كانت بإخلاص طلبًا لرضا الله سبحانه، ويوم القيامة يؤدَّى أجرها كاملًا لصاحبها من غير نقص. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ بيَّن الله في هذه الآية أحق الناس بالصدقات، وهم الفقراء الذين فرَّغوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، فحُبِسوا عن طلب الأرزاق بالسفر والتجارة ونحو ذلك، يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء بسبب تعففهم عن سؤال الناس، ونزاهتهم عما لا يليق، وقناعتهم بما تيسر لهم من رزق يسير، يعرفهم المتأمل بعلاماتهم الخفية الدالة على عفتهم وحاجتهم، كالتواضع ورثاثة الثياب وضعف الأبدان، والخطاب لغير معين ليعم كلَّ مخاطب، ومن صفاتهم أنهم لا يسألون الناس أموالهم إلحاحًا، فإن اضطروا أو احتاجوا لطلب صدقة أو قرضٍ لا يكررون الطلب، ومثل المجاهدين في سبيل الله المتفرغون لطلب العلم النافع، والدعوة إلى الله سبحانه، فهؤلاء أفضل من يتصدق عليهم المتصدقون، وهم أحق بالمواساة من غيرهم لتفرغهم لحفظ الدين وإقامته ونشره، وإقامة مصالح الإسلام والمسلمين. ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)﴾ وعد الله المكثرين من الصدقات ليلًا ونهارًا في الخفاء والعلن بأجر عظيم عند ربهم الكريم، ولا خوف عليهم مما يستقبلونه بعد موتهم، ولا هم يحزنون على ما تركوا في الدنيا، روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ))، وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)). ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)﴾ الربا أصله الزيادة؛ لأن المرابي يطلب من المقترض زيادة على ما أقرضه، والربا شرعًا: مقابلة عِوَض بآخر مع زيادة أو جهل بالتماثل أو مع تأخير التقابض في الأصناف الربوية، والربا نوعان: ربا الفضل (الزيادة)، وربا النسيئة (التأخير)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ)) رواه مسلم، نص النبي

صلى الله عليه وسلم على ستة أصناف ربوية، وقاس الفقهاء عليها غيرها مما يشترك معها في العلة، وهذه الأصناف الربوية من حيث العلة قسمان: قسمٌ العلة فيه الثّمنية، وهو الذهب والفضة وما يجري مجراهما من الأوراق النقدية كالريال اليمني والريال السعودي والدولار الأمريكي. وقسمٌ العلة فيه الطُّعم وهو البر والشعير والتمر والملح، وما يجري مجراها من المطعومات كالزبيب والذرة والأرز واللحم والسمك والتفاح، وبعض الفقهاء جعل العلة في هذا القسم الطُّعم مع الكيل أو الوزن. ومعنى الآية: آكل الربا عندما يقوم من قبره يوم القيامة لا يقوم إلا كما يقوم المصروع الذي يصرعه الشيطان ويوقعه في الاضطراب بسبب المس أي: الجنون، يقال: رجل ممسوس أي: مجنون، وذلك لأنهم كذبوا على الله واستحلوا الربا بقياس فاسد فزعموا أن البيع مثل الربا في الحكم والتعامل، والله أحل البيع وحرم الربا، وفي هذه الآية دلالة على أن الشيطان قد يتخبط الإنسان فيصرعه، فمن بلغه تحريم الربا فتاب وتركه فلا يأثم على ما مضى من أكل الربا، وأمر قبول توبته موكول إلى الله العالم بالنيات، فإن علم صدق توبته غفر له، ومن عاد إلى التعامل بالربا واستحله بعد علمه بتحريمه فهو كافر من أصحاب النار خالدًا فيها، ومن تعامل بالربا مع إقراره بتحريمه ولم يستحله فهو فاسق ملعون، والربا من أكبر الكبائر، ومن الموبقات المهلكات، عن جابر رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ)، وقال: ((هُمْ سَوَاءٌ)) رواه مسلم. ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يُذهبه ويُهلكه في الآخرة، ويُذهب البركة منه في الدنيا، ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يُكثرها ويُنميها ويزيدها، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾ والله لا يحب من كان كثير الكفر لنِعَمه، كثيرَ الآثام، المصِر على العصيان، كالمرابي الذي لا يشكر الله على نعمة المال، ويصر على التعامل بالربا الذي يزيد الغني غنى بلا عمل، ويزيد الفقير فقرًا بلا رحمة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ بعد أن ذكر الله أصحاب الأموال المرابين، وأخبر أنهم خاسرون في الآخرة، ذكر المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، وأخبر أنهم الفائزون في الآخرة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ أي: هذا شرطٌ للتهييج، أي: إن كنتم مؤمنين حقًّا فاتركوا ما بقي من الربا، ولا تأخذوا زيادة على رؤوس أموالكم في المعاملات الربوية. ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ أي: فإن لم تتوبوا من التعامل بالربا فاعلموا وأيقنوا بأن الله محارب لكم ورسولَه، وإن تبتم إلى الله وتركتم الربا فلكم رؤوس أموالكم بلا زيادة، لا تَظلمون الناس بأخذ الزيادة، ولا تُظلمون بنقص رؤوس أموالكم. ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠﴾ أي: وإن وُجِد ذو عسرة فالواجب إنظاره إلى وقت ميسرة،

فإن كان الذي عليه الدين معسرًا فيجب إمهاله حتى يتيسر له قضاء الدَّين الذي عليه، ولا يجوز حبسه ولا التضييق عليه مع إعساره، وإن تصدقتم على المدين المعسرِ بالتنازل عن الدَّين كلِّه أو بإسقاط بعضِه فهو خير لكم في الدنيا والآخرة، وفي الآية ترغيب عظيم في الصدقات، والتسامح في المعاملات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)) رواه مسلم. ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ هذه آخر آية أنزلها الله في كتابه، أي: واحذروا يوم القيامة الذي تُرجعون فيه إلى الله فيحاسبكم على أعمالكم، فاستعدوا لذلك اليوم بالتوبة من السيئات، والاستكثار من الأعمال الصالحات، ففي ذلك اليوم تستوفي كل نفس ما عملت في الدنيا من خير أو شر، ولا يظلم الله العباد شيئًا بزيادة على سيئاتهم أو بنقص من حسناتهم أو بعقوبتهم على ما لم يعملوه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾ هذه أطول آية في كتاب الله، وهي في الديون والبيوع، حتى لا تضيع أموال الناس في معاملاتهم المالية فيندموا على تفريطهم، ففيها دلالة على أن الإسلام جاء بتنظيم أمور الدين والدنيا، وفيها رد على العلمانيين الذين يفصلون الدين عن الحياة، فالشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا معًا، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعًا، فتقدم أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، والشريعة سمحة ليس فيها حرج بوجه من الوجوه، كاملة شاملة حكيمة، تأمر بكل ما يصلح العباد في دينهم ودنياهم، وتنهى عن جميع أنواع الفساد والشرور، ومعنى آية المداينة: يا أيها الذين آمنوا إذا داين بعضكم بعضًا إلى مدة محددة فاكتبوا ذلك الدَّين، وليكتب بينكم كاتب بالحق والإنصاف الموافق للشرع والواقع، ولا يمتنع كاتب أن يكتب الدَّين كما علَّمه الله الكتابة، فليكتب ما يمليه الذي عليه الحق حتى يكون ذلك إقرارًا منه، وليتق اللهَ الكاتبُ والمملي ولا ينقص من الدَّين شيئًا في قدره أو نوعه أو أجله، فإن كان الذي عليه الحق سفيهًا لا يحسن التصرف

بالصواب أو كان ضعيفًا لصغره أو نقصٍ في عقله أو كان لا يستطيع الإملاء لخَرَسه ونحو ذلك، فليقم بالإملاء عنه وليه المسؤول عنه بالحق والإنصاف، واطلبوا عند كتابة المداينة شهادة رجلين عاقلين عدلين، فإن لم يوجد رجلان فاستشهدوا رجلًا وامرأتين ترضون دينهم وأمانتهم، حتى إذا نسيت إحدى المرأتين ذكَّرتها أختها بالدَّين وتفاصيله، ولا يمتنع الشهود إذا طُلِب منهم الحضور للشهادة على الدَّين، وعليهم أداء الشهادة إذا دُعوا لذلك، ولا يُصبكم المَلَل من كتابة الدَّين قليلًا كان أو كثيرًا إلى مدته المحددة، فكتابة الدَّين أعدل في شرع الله، وأبلغ في إقامة الشهادة وأدائها، وأقرب إلى نفي الشك في نوع الدَّين ومقداره ومدته، إلا إذا كان التعاقد بينكم على تجارةٍ في سلعةٍ حاضرةٍ وثمنٍ حاضرٍ فلا إثم عليكم في ترك الكتابة حينئذٍ لعدم الحاجة إليها؛ لحصول التقابض عند البيع بلا تأخير، ويُستحب لكم الإشهاد عند البيع منعًا لأسباب النزاع، ولا يجوز الإضرار بالكاتب والشهود، ولا يجوز لهم الإضرار بمن طلب كتابتهم أو شهادتهم، ووقوع الإضرار على الكاتب والشهود أو منهم خروجٌ عن طاعة الله إلى معصيته. وخافوا الله واحذروا عقابه -أيها المؤمنون- بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ويعلمكم الله ما فيه صلاح دينكم ودنياكم وآخرتكم، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أحوالكم ومصالحكم. ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ الرِّهان جمع رهن، وهو شيءٌ له قيمةٌ يضعه المدين عند الدائن ليضمن حقه، أي: وإن كنتم مسافرين وتداينتم ولم تجدوا كاتبًا يكتب لكم وثيقة الدَّين فرَهنٌ يقبضه الدائن من المَدِين، فإذا قضى الدَّين أعطاه الرهن، وإن لم يقضه باع الرهن بقيمته فأخذ حقه بلا زيادة، ورد الباقي للمَدين، فإن أمِن الدائنُ المدِين فلم يكتب وثيقة الدَّين ولم يأخذ منه رهنًا فليؤد المدِينُ الدَّين الذي هو أمانةٌ عنده، وليتق الله ربه بترك الخيانة أو المماطلة أو النقص من الدَّين، ولا تكتموا الشهادة المبينة للحق والواقع، ومن يكتم الشهادة فإنه فاجرٌ قلبُه بسبب كتمان الحق الذي أخفاه في قلبه ولم يظهره مع الحاجة إلى إظهاره لمعرفة الحقوق، والله بما تعملون عليم، ومن ذلك علمه سبحانه بترك أداء الشهادة وكتمانها، فالتَّركُ عملٌ يؤاخذ عليه الإنسان. ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ أي: لله وحده ما في السماوات وما في الأرض خَلقًا ومُلكًا وتدبيرًا، وإن تُظهِروا – أيها الناس – ما في قلوبكم من الخير أو الشر أو تخفوه يعلمه الله، فهو يعلم ما في القلوب من الإيمان والخشوع والخوف من الله ورجاء رحمته ومحبته ومحبة عباده المؤمنين وتعظيم شريعته وإرادة الخير والنية الطيبة والخواطر الحسنة، ويعلم ما في القلوب من الكفر والنفاق والشك والكِبر والحسد والحقد والعجب

والرياء والظن السيئ وحب الشهوات المحرمة وإرادة الشر والنية الفاسدة والخواطر السيئة، وسيحاسبكم الله يوم القيامة على ما في قلوبكم من خير وشر، فيغفر لمن يشاء بفضله ورحمته، ويُعذِّب من يشاء بعدله وحكمته، والله على كل شيء قدير، ومن ذلك قدرته على البعث والحساب والمغفرة والعذاب. ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ أي: آمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بما أُنزِل إليه من ربه من القرآن الكريم والسُّنة المبينة للقرآن، والمؤمنون من أصحابه وأتباعه آمنوا كذلك بالقرآن والسنة، كلهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه التي أنزلها الله على رسله، وآمنوا بجميع الرسل، قائلين: لا نفرق بين أحد من رسل الله، فليسوا كاليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وقال المؤمنون من الصحابة وأتباعهم: سمعنا – يا ربنا – ما أمرتنا به ونهيتنا عنه، وأطعناك بفعل الواجبات وترك المحرمات، فالعِلم قبل العمل، فقولهم: {سَمِعْنَا} علم، وقولهم: {أَطَعْنَا} عمل، وقالوا: نسألك – يا ربنا – أن تغفر لنا تقصيرنا في بعض الواجبات، ووقوعَنا في بعض المحرمات، فنحن لا نزكي أنفسنا فندَّعي عصمتها، ومهما استقمنا على طاعتك نعترف لك بذنوبنا، وإليك وحدك مصيرنا في الآخرة، فلا مفر لنا من البعث والحساب، فنحن نرجو رحمتك، ونخشى عذابك. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ أي: لا يوجِب الله على الإنسان إلا ما يُطيق من الأعمال، فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، ولا مشقة لا تُطاق في دين الإسلام، ومن ذلك: العفو عن حديث النفس والوساوس التي لا يسترسل معها العبد، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ))، فمن عَمِل خيرًا فله ثوابُ عملِه كاملًا بلا نقص، ومن عَمِل شرًا فعليه إثمه لا يحمله عنه غيره، وعلَّم الله سبحانه المؤمنين هذا الدعاء العظيم ليستجيب لهم: ربنا لا تعاقبنا إن نسينا فتركنا واجبًا أو فعلنا حرامًا غير ذاكِرين، أو أخطأنا في اعتقاد أو فعل أو قول بلا قصد منا لمخالفة الحق ولا تعمدٍ للمعصية، والنسيان هو الذهول عن الشيء، والخطأ هو مخالفة الصواب من غير قصد المخالفة، وهو يشمل من أخطأ جهلًا أو متأولًا، ربنا ولا تُكلِّفنا في دين الإسلام ثِقَلًا من الأوامر والنواهي يشق علينا ولا نستطيع القيام به كما كلَّفت اليهود بالتكاليف الثقيلة، وشدَّدت عليهم الأحكام بسبب ظلمهم وفسقهم، ربنا ولا تُقدِّر علينا ما لا نطيقه ولا نصبر عليه كتسلط الكفار والظلمة، والفقر المدقع، والأمراض المزمنة، والعِشق، والمس، والسحر،

والجنون، ونحو ذلك من المصائب الشديدة في الدنيا، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وكذلك لا تُقدِّر علينا ما لا نطيقه ولا نصبر عليه من عذاب القبر وأهوال القيامة وعذاب النار، ربنا وتجاوز عن ذنوبنا فلا تعاقبنا عليها، واغفر لنا ذنوبنا فاسترها ولا تفضحنا بها، وارحمنا في حياتنا وعند موتنا وبعد موتنا وفي آخرتنا، أنت ولينا نتوكل عليك في جميع أمورنا وأحوالنا، فانصرنا على القوم الكافرين من اليهود والنصارى وجميع المشركين. روى مسلمٌ في صحيحه وعبد الرزاق الصنعاني وابن جرير الطبري في تفسيريهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ} [البقرة: ٢٨٤] غمَّت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غمًّا شديدًا، وقالوا: يا رسول الله هلكنا، إنما كنا نؤخذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا))، فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] قال الله: ((قَدْ فَعَلْتُ))، {رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: ((قَدْ فَعَلْتُ))، {رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: ((قَدْ فَعَلْتُ))، {وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٨٦]، قال الله: ((قَدْ فَعَلْتُ))، قال ابن عباس: (فكانت الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها، وصار الأمر إلى أن قضى الله أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل، فَتَجَوَّزَ لَهُمْ مِن حديثِ النفس، وأُخِذوا بالأعمال). ويؤخذ من هذه الآية أنه لا يأثم الناسي ولا المخطئ، فمن نسي إزالة النجاسة من ثوبه فصلى فصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه، ومن نسي فأكل أو شرب وهو صائم فليتم صومه، ولا قضاء عليه، ومن أخطأ فأكل بعد طلوع الفجر في رمضان وهو يظن أنه لا يزال في الليل فصومه صحيح، ولا قضاء عليه، ومن اجتهد في القبلة فأخطأ فصلاته صحيحة، ولا إعادة عليه، والقاضي أو المفتي إذا اجتهد فحكم أو أفتى فأخطأ لا إثم عليه، ونص العلماء على أنه لا يُنقض حكم القاضي في المسائل الاجتهادية التي ليس فيها نصٌ لا معارض له ولا إجماع ثابت، وأنه لا إثم على من أخذ بقولِ عالمٍ يثق بعلمه إذا أخطأ في مسألة اجتهادية، وأن الإقدام على مفسِّقٍ مع الجهل يمنع كونه مُفسِّقًا، ولا يأثم فاعله؛ لأنه متأول، ولم يتعمد الخطأ، وذكر بعض العلماء أن المتأوِّل الذي يقصد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا يُكفَّر ولا يُفسَّق إذا اجتهد فأخطأ، سواء في المسائل العقدية أو المسائل العملية، قال الله تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} [الأحزاب: ٥]، وفي الحديث

المشهور: ((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ))، فلا يأثم من أخطأ جهلًا أو متأولًا، مجتهدًا أو مقلدًا لعالمٍ حيث يسوغ التقليد، وراجع في هذه المسألة رسالتي: فقه الخطأ، ورسالتي الأخرى: حكم العذر بالجهل، والله أعلم.